روايات عبير



روميليا لاين

الفجرُ في الغسقِ

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 129

الفجر في الغسق

ليس سهلاً ان يتقمص الصديق شخصية صديق له، بخاصة اذا كان للأمر علاقة بالقلوب واذا كان القلب مرهفاً الى حد الانكسار. لكن الظروف شاءت ان تذهب فيفيان مكان لوسي الى طنجة للقاء روبرت المقعد المشرف على الموت وكانت لوسي قد راسلته وارسلت اليه صورة فيفيان لأنها اجمل منها.

وفي طنجة تجد فيفيان نفسها ممزقة بين ثلاثة رجال: ترانت شقيق روبرت الذي يملك الكازينو وتحيطه اجمل النساء لكنه شديد القسوة لا يرحم، غاري الشاب الذي احبته منذ سنوات في طنجة وراحت تبحث عنه حتى وجدته، وروبرت المقعد الذي يحلم بالشعر والزواج بعدما لمح طيفاً للشفاء.

اي واحد من هؤلاء سيكون رجلها وهل تنجح مؤامراتها مع غاري للسطو على خزنة الأموال في مكتب ترانت؟

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية
HIDDEN RAPTURE

المراسلات
Harlequin (Cyprus) Ltd.
29 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 612, Greece

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd, Bungay, Suffolk

١- عندما يخطىء الأصدقاء

الصمت العميق يعمّ داخل مكاتب شركة بيتشفيلد للمبيعات. ثم كالعادة رنّ الجرس معلناً نهاية نهار العمل. وفي الحال سمع ضجيج وصخب الموظفات يهبطن السلالم ويجتزن الممرات الطويلة التي تصلهن الى الباب الخارجي. في الوقت نفسه كن يثرثرن عن مختلف الأمور العابرة والأحاديث المقتضبة، وخاصة عن الرجل، الجنس الخشن.

تنهدت ساندا غاتش، وهي فتاة شقراء ممشوقة وقالت:

ـ كم انا مستعجلة للوصول الى المنزل. سأرى براين في المساء. انا أكيدة انه سيطلب يدي، هذه الليلة!

علّقت بياتريس تشرمان بصوت متعب وهي والدة لثلاثة أطفال

وقالت:

ـ الحياة الزوجية ليست دائماً حلوة ومفرحة! لو طلب مني ان أعيش حياتي من جديد، لما كنت وقعت في الخطأ نفسه!

اما الزميلة صوفيا سميث فأعلنت ضاحكة:

ـ أنت حظك سيء، يا بياتريس. لقد تزوجت من أول رجل تقدم اليك. هذا الخطأ الذي ما كان يجب عليك ان ترتكبيه. كان من المفروض الانتظار حتى التعرف الى الرجل التالي.

ضحكت مونيكا راندال وقالت بسخرية:

ـ الرجل الثري، بما معناه!

أجابت صوفيا بجدية:

ـ بالضبط. اليوم نختار الرجل نظراً الى طريقة الحياة التي بامكانه ان يقدمها لنا. لا يوجد هنا فتاة عازبة لا تشاطرني هذا الرأي، أنا أكيدة من ذلك.

ـ ما عدا فيفيان!

الرؤوس التفتت باستغراب نحو فيفيان. فقالت احدى رفيقاتها بسخرية:

ـ صديقتنا محافظة جداً، فلم تخبرنا مرة عن مغامراتها العاطفية.

أجابت فيفيان الهادئة:

ـ ليس لدي مغامرات عاطفية، وهذا أبسط ما في الأمر.

كان لهذا الكلام صدى دهشة واستغراب. فقالت بياتريس تشرمان بلهجة قاطعة:

ـ انها تقول الحقيقة. أنا أعرف فيفيان من زمان ولم أرها ابداً برفقة رجل.

وحلت الابتسامات المرتبكة والشفوقة مكان المزاح. فقالت فتاة في

الثلاثين من عمرها وتدعى باتي غارمس:

ـ آه! لو الشباب يعرف ولو الشيخوخة تقدر! انظرن الى هذه الفتاة! ألا تدعو للغيرة، بشعرها المجعّد الجميل... لا عدالة في هذا العالم!

ابتسمت فيفيان بهدوء كما هي عادتها في مثل هذه الظروف. فهي تعتبر نفسها فتاة شابة بالرغم من عمرها الذي يبلغ الثالثة والعشرين، بل غالباً ما تشعر بأنها لم تعد صبية، ومن يدخل الى قلبها لاكتشف مدى عذابها ومرارتها.

وانتهى الحديث وتمنت كل واحدة لزميلاتها ليلة سعيدة. بعضهن امتطين دراجاتهن النارية، والبعض الآخر من ذوات الحظ والثروة صعدن الى سياراتهن. اما فيفيان، على غرار عدد كبير من زميلاتها، فعادت الى غرفتها مشياً على قدميها. فهي تسكن في المنزل المعد خصيصاً للموظفات اللواتي يعملن في يتشفيلد، والذي يقع قرب مكاتب الشركة، خارج المدينة. دخلت الى البناية وسمعت صوت خطواتها وهي تدوس البلاط. ثم وضعت يدها على الدرابزين الحديدي وصعدت السلالم. فقد اختارت فيفيان من زمان، وعن قصد، ان تعيش في هذا الاطار البارد، اللاشخصي. وما ان وصلت الى الطابق الثاني، حتى شاهدت فجأة باباً ينفتح وعلى عتبته تقف فتاة في هيئة مريبة.

صرخت فيفيان مسرعة نحوها:

ـ لوسي! لم تذهبي الى العمل بعد الظهر، هل أنت مريضة؟

عضت لوسي على زاوية منديلها ورفعت نحو صديقتها عينيها المدمعتين وناحت تقول:

ـ آه، يا فيفيان، لقد حدث أمر كريه!

أمسكت فيفيان بمعصم صديقتها واقترحت عليها قائلة:

ـ لندخل الى غرفتك وستخبرينني كل شيء.

لوسي مايلز من عائلة فلاحين، فتاة خجولة، عديمة المهارة، تعمل بنشاط في بيتشفيلد. يداها وقدماها طويلتان نسبة الى جسمها النحيل وملابسها الباهتة. لكن فيفيان عرفت ان وراء هذا الشكل الرتيب، تتمتع لوسي بصدق كبير وكرم لا حدود له. لذلك أصبحتا بسرعة غريبة صديقتين حميمتين.

في الغرفة، قليل من الأثاث. ضمت فيفيان صديقتها بين ذراعيها وسألتها:

ـ ماذا جرى؟ هل يتعلق الأمر بعائلتك؟

فيفيان فتاة وحيدة لا أهل لديها، سبق لها ان ذهبت مرة مع لوسي لزيارة أهل صديقتها الذين يسكنون في مزرعة قديمة مهدمة تقع على بعد بضعة كيلومترات من المدينة. وتعرفت على والد لوسي الذي فقد يده اليمنى بحادث شاحنة فاضطرت زوجته وأولاده ان يعملوا بلا انقطاع لاستثمار قطعة الأرض الوحيدة التي يملكونها. وبالرغم من شغف لوسي للعيش في الهواء الطلق، فقد وجدت نفسها مرغمة ان تجد لنفسها عملا في بيتشفيلد كي تؤمن حاجات أهلها.

أجابت لوسي متأتئة، مضطربة:

ـ لا، الجميع هناك على ما يرام. وصلتني رسالة هذا الصباح... رسالة اخرى... والرسائل التي ارسلتها... آه، لم اخبرك بشيء اما الآن... لا اعرف ماذا سأفعل...

قاطعتها فيفيان بهدوء وسألتها بصوت دافىء وناعم:

ـ لم أفهم شيئاً مما تقولين. عما تتكلمين بالضبط؟ ما هي هذه الرسائل؟

لم ترد صديقتها في الحال. وبعد جهد كبير، مسحت الدموع عن عينيها وبدأت تقول:

ـ هل تتذكرين ذلك الاجتماع الحاسم في النادي الاجتماعي، وتعرفنا هناك الى سيدة تدعى ايفا درموث، وشددت علينا بالحاح ان نقدم العون وقليلا من السعادة للبؤساء والمساكين. كان ذلك مباشرة قبيل رأس السنة. فقبل مغادرتي الاجتماع طلبت منها ان تزودني بعنوان كي أراسل مريضاً يعيش في الخارج.

ـ آه، فهمت، وماذا بعد؟

ـ يدعى روبرت كولبي ويعاني من انحلال عضلي مزمن ولا يمكنه التنقل الا بواسطة الكرسي النقال. عمره ٢٤ سنة. كان في الماضي من أبرز لاعبي الروكبي و...

قاطعتها فيفيان قائلة:

ـ لوسي، هل كنت تراسلين... هذا الرجل منذ رأس السنة... منذ ثلاثة أشهر؟

ـ نعم. أكتب اليه مرتين في الاسبوع. اننا نحب بعضنا...

وقعت فيفيان في حيرة وأطلقت ضحكة انزعاج وقالت:

ـ اذن، ما دمت تشعرين بهذه العاطفة الكبيرة، لماذا...؟

صرخت لوسي والدمع عاد ينهمر من عينيها قائلة:

ـ آه، فيفيان! أنت لا تفهمين! روبرت على وشك ان يلاقي حتفه... عما قريب!

سحبت من جيبها رسالة، مدتها نحو فيفيان وقالت:

ـ خذي! اقرأي! لقد استلمتها صباح اليوم.

بدأت فيفيان بليث تقرأ بشغف من دون ان تعي ان الرسالة موجهة في الواقع اليها وذلك لورود اسمها...

- العزيزة الآنسة بليث... انا متأسف لأعلمك بأن صحة روبرت تتدهور بشكل ملموس. لم يعد هناك من أمل، فالأطباء قالوا في تقريرهم الأخير انه بقي لديه ليعيش بضعة اسابيع فقط. وهو يطلب حضورك. سأكون شاكراً اليك اذا امكنك المجيء بأسرع ما يمكن، على نفقتي الخاصة طبعاً: ترانت كولي.

رفعت فيفيان عينيها عن الرسالة وقالت لصديقتها:

- يجب ان تلبي هذه الدعوة، يا لوسي.

- هذا مستحيل!

أطلقت لوسي تنهيدة طويلة. ثم نهضت وفتحت درجاً وأضافت:

- هذه صورة روبرت كولي.

كانت الصورة تمثل شاباً أشقر، مبتسم الوجه، واضح الملامح.

فقالت فيفيان على الفور:

- انه شاب وسيم وجذاب!

هزت لوسي رأسها وقالت عابسة:

- لم يسبق ان أحببت أحداً من قبل. وهذا أمر لا يدهش من يرى شكلي ومظهري! كتب الي روبرت رسالة جميلة جداً وأردت ان أفرحه و... آه يا فيفيان! لا أعرف ماذا جرى لي حينذاك! لكنني أرسلت اليه صورتك!

- صورتي!

- نعم. الصورة التي كانت هدية منك بمناسبة عيد ميلادي... تلك الصورة في الاطار الجلدي...

تذكرت فيفيان ان المصوّر نجح في اظهار الابتسامة على شفتيها مكان الحزن في نظرتها. وكتبت فيفيان خلف الصورة بعض

التعليقات المرحة والمضحكة ووقعت امضاءها عليها.

- لكن ليس ذلك مصيبة كبرى!

- بلى! لا يجب على روبرت ان يأخذ علماً بذلك أبداً! لقد وقع في غرام الفتاة المرسومة على الصورة... وليس في غرامي أنا!

سألتها فيفيان التي بدأت تفهم الأمر:

- هل كتبت اليه كل هذا الوقت معتبرة نفسك انك أنا؟

- نعم. نادراً ما كانت تصلك رسائل. وفي كل حال، أنا من يستلم الرسائل الموجهة لك ولي. وكنت أعرف جيداً ايها الرسائل الآتية من روبرت.

لاحظت فيفيان تغيّراً ملموساً لدى صديقتها منذ فترة، ذلك لأنها كانت تحمرّ خجلا وتقهقه من لا شيء. سألتها بصوت ناعم:

- ولماذا فعلت ذلك؟ انت تعرفين ان الأمر سينكشف عاجلا أم آجلا.

أجابتها بحزن وكآبة:

- لم يكن أمامي خيار. كان امضاؤك موقعاً خلف الصورة. كما ان روبرت وجد هذه الصورة جميلة جداً! خطر ببالي مراراً ان أبوح له بهذه الخدعة. لكنني كنت أخشى ان أفسد كل شيء. والآن... لا يمكنني أبداً ان أقول له الحقيقة!

- آه، يا لوسي! انت ألطف انسانة وأكرم مخلوق عرفته على هذه الأرض! وروبرت، أنا متأكدة، لن يلومك اذا صرّحت له بكل شيء.

أجابتها لوسي بذعر:

- من الظلم ان أحطم أوهامه وهو على وشك مغادرة الحياة! لا، يا فيفيان. انه مقتنع انك أنت من كتبت هذه الرسائل. والحل الوحيد

هو ان تذهبي انت لزيارته.

صرخت الفتاة مصعوقة:

ـ أنا؟ هذا جنون، يا لوسي! أنا غير قادرة ان أنجح في تمثيل هذا الدور!

أجابتها لوسي بنبرة حازمة:

ـ بلى، انت قادرة على ذلك، ولن يطول الأمر. ستظهرين طيبة ومحبة لروبرت. ولي انا ايضا.

أمسكت فيفيان يد صديقتها وقالت:

ـ لوسي، أنا أقر بأنك تعانين الآن وضعاً معقداً للغاية. طبعاً لا يجوز اعلام روبرت بالأمر في هذه الفترة الحاسمة من حياته. لكن من ناحية أخرى، أنا أجهل كل شيء عن علاقتكما. عن ماذا سأحدثه؟

ـ لا احتفظ فقط برسائل روبرت، بل لدي نسخاً مصورة عن كل الرسائل التي أرسلتها اليه. بامكانك قراءتها وبالتالي يكون باستطاعتك اختيار التصرف المناسب. لدي شهر اجازة تأخذينه عني وأنا أعمل مكانك.

انتصبت لوسي والقرار مرسوم على وجهها وأضافت تقول:

ـ روبرت سيموت، يا فيفيان ولن نخيّب أمله. غداً عليك الذهاب بأي ثمن الى طنجة.

ـ الى طنجة!

تهيأ لها فجأة ان هوة مرعبة تنفتح تحت قدميها.

ـ نعم. هناك يسكن روبرت وأخوه. انه ثري كبير اخوه صاحب كازينو ويملك فيللا رائعة...

لم تعد فيفيان تسمع شيئاً. نهضت وتوجهت نحو النافذة. المعمل

يظهر جانبياً في الليل تحت أضواء المصابيح. لكنها لم تكن تراه لأنها كانت تتذكر الطرقات الصغيرة المكتظة، والشواطىء المشمسة والنساء السمراوات والرجال في الجلابيات. منذ أربع سنوات وهي تبذل جهداً كبيراً لتنسى هذه المدينة... لتمحو من ذاكرتها ذكرى غاري ثورتن، والسعادة التي قضتها برفقته. لكن، بقدر ما كان حبها جنونياً لم تستطع فيفيان ان تشفى كلياً من عذاب هذا الحب.

شحب وجهها والتفتت نحو صديقتها وقالت:

ـ مستحيل ان اذهب الى طنجة، يا لوسي. أنا آسفة!

راحت لوسي تنوح وتقول:

ـ آه، يا فيفيان! لقد اتكلت على مساعدتك! اعترف بأنني ارتكبت حماقة لا تغتفر، لكن كيف بامكاني ان أتنبأ بنهاية غير منتظرة؟

كانت فيفيان تتمزق بين رغبتها في نجدة صديقتها وبين الخوف المروّع للخضوع لهذا المخطط. يا لسخرية القدر! بينما كانت فيفيان تبذل جهدها في رفض مجرد علاقة عابرة بالرجال ومحو أي غواية تطرأ على حياتها، كانت لوسي تحلم بذلك، مثل زهرة تذوي في الشمس.

ـ تطلبين الكثير مني، يا لوسي.

ـ أعرف. لكن لو هناك حل آخر، لما كنت أتوسل اليك ان تساعديني.

حلّ صمت طويل بينهما. وراحت فيفيان تتخيل هذا الرجل المسكين ينتظر بأمل كبير لقاء امرأة أحلامه. وبما ان لوسي كانت أعز صديقاتها، قالت بصوت مليء بالثقة:

ـ أين الرسائل؟

أمضت فيفيان جزءاً كبير من الليل في القراءة. وكانت تشعر بأنها تمتهن سراً رائعاً عندما بدأ روبرت في رسائله يفتح قلبه لحبيبته وتجاوب معه لوسي. ويزداد شعورها عندما أصبحت أسرارهما حميمة وحنونة. نعم روبرت ولوسي واقعان في الغرام، مما جعل فيفيان تشعر بازدياد القلق في داخلها. كيف بامكانها ان تحل مكان صديقتها، الطيبة والناعمة؟

وفي صباح اليوم التالي أرسلت فيفيان برقية الى طنجة، وبعد ساعات معدودة توجهت الى المطار. ساعدتها لوسي على تحضير حقائبها وتوسلت اليها ان تكتب اليها باستمرار وتعلمها عن حالة مراسلها الصحية وتطوراته.

الرحلة تمت من دون شائبة. لكن، عندما هبطت الطائرة في مطار طنجة، شعرت فيفيان فجأة بالذعر يحتلها. فتحلت بالشجاعة وهي تطأ الأرض المغربية.

دخلت الى محطة الطيران وراحت تسلك طريقاً بين الحمّالين والجمع الصاخب المؤلف من خليط كبير. السماء الزرقاء وشمس الغسق والمنارات الوردية كلها تصفع قلبها كأنها ضربات خنجر حاد. لا، لا تريد ان تتذكر! ترفض ان تتذكر!

كانت فيفيان ممشوقة القامة، نحيفة، ترتدي بزة خضراء فاتحة، وقميصاً أبيض. لحق بها الباعة المتجولون وجالبو الزبائن للفنادق وراحوا يعرضون عليها خدماتهم بالحاح، رافضين الاكتراث لرفضها وتشكرها. فجأة دوى صوت حاد، فابتعد الرجال ليفسحوا المجال ان يتقدم رجل غريب، قاسي الملامح، يرتدي بزة فاتحة وأنيقة.

حدق الرجل بالفتاة مفصلا وبنظرة ساخرة وقال بصوت خفيض:

ـ آنسة بليث؟ آنسة فيفيان بليث؟

اجابت بلهجة باردة :

ـ نعم.

ـ انا ترانت كولبي، شقيق روبرت.

ثم اشار الى خادمه وقال:

ـ سيهتم عبدول بالحقائب. السيارة بانتظارك في الخارج.

كان الغسق معطراً بالميموزا وزهر الليمون الحامض وتنشقت فيفيان أريجها بألم حاد. امام سيارة الليموزين السوداء يقف عبدول بجلابيته الرمادية وطربوشه الأحمر فاتحاً لها الباب.

بعد لحظات قليلة، كانت السيارة تجتاز الطريق. والفتاة تبذل جهدها لئلا تشاهد المنظر الأخضر الغريب. لكن رؤية اشجار النخيل والطرفاء والبيوت المبنية من الرمال الحمراء، كلها ايقظت في قلبها الماً طالما كبته طويلاً. هذه السنوات الاربع لم تكن كافية لتخفف من آلامها. وبعد قليل لاحظت فيفيان ان رفيقها يراقبها وتذكرت في الحال ان عليها ان تلعب دوراً كبيراً وبمهارة واتقان، فانتصبت بسرعة في مقعدها.

قال ترانت كولبي وهو يحدق بها بنظرة باردة:

ـ يتحدث روبرت دائماً عنك. الظاهر انكما تتراسلان باستمرار. الا تعتقدين ان المراسلة طريقة غريبة للوقوع في الحب؟

ـ النفوس الشقيقة ليست بحاجة لاتصال جدي، يا سيدي. روبرت وانا تناسب بعضنا وفهمنا ذلك منذ البداية. وانت، الظاهر انك لا تصدق ذلك.

رمقها بنظرة ثاقبة وقال:

- بالفعل! انت هنا فقط لأن روبرت طلب حضورك، وانا أتكل عليك كي تجعليه سعيداً. اذا تبيّن لك انك اخطأت تجاه عاطفتك، فلا انصحك بمحاولة التقاعس عن واجباتك. لا اريد ان ارى اخي يتعذّب، هل فهمت ما اقصده؟

كان ترانت كولبي يتمتع بشخصية قوية ونافذة، ينبع منها نضج كبير وقوة غير اعتيادية. والدليل على ذلك يظهر في نبرة صوته الحاسمة وكتفيه العريضتين وملامح وجهه البارزة وعينيه المحدقتين اللتين يغشاهما ظل من الحزن.

اعلنت فيفيان ببرود:

- وجودي في طنجة لا يفرحك، اليس كذلك؟

رفع كتفيه وقال:

- عندما كنت في سن روبرت، لم يكن الرجل ينظر الى الحب هكذا. كان بحاجة كي يضم حبيبته بين ذراعيه لا ان يحبها بالمراسلة.

- ومع ذلك لم تصبح ناعماً وليّناً بما فيه الكفاية!

ابتسم واضاف:

- وهذا ينطبق عليك ايضا. قولي. . . لماذا هذا التعلق بروبرت؟ لا يدل منظرك على انك امرأة قادرة على الاكتفاء بحب افلاطوني. تبدين لي عكس ذلك، كأنك عشت تجربة ما في حياتك!

- قبل مرضه، لم يكن روبرت يعيش حياة النساك، على ما اظن!

- لا يبلغ اخي من العمر سوى اربعة وعشرين عاماً. ما زال صغيراً بالنسبة الى فهم غرائب المزاجات الانثوية ولو سمع كلامي، لما كنت هنا اليوم. لكن بما ان الامر اقتضى وجودك، فمن صالحك

الا تتهربي من واجباتك.

تذكرت فيفيان بكاء لوسي مساء امس وقالت:

- ربما انت مخطىء تجاهي، الم تفكر بذلك؟ يحصل احياناً ان تقع النساء - واحياناً الرجال - بحب مراسليهم!

اجاب بسخرية:

- اذن، آمل، يا آنستيليث، او بالاحرى يا فيفيان ما دمت ستصبحين من الآن فصاعداً جزءاً من العائلة - انك لم تخطئي.

ادارت فيفيان وجهها نحو النافذة مستاءة من شكوك ترانت كولبي تجاهها ومن وقاحته في اظهار نفوره وكرهه. ثم راح نظرها يجول داخل السيارة الفاخرة، ومن خلال الزجاج الأزرق الفاصل، كانت ترى عبدول يقود السيارة بمهارة في السير الكثيف. وقربها، في المقعد الخلفي، كان ترانت كولبي ببزته الثمينة وازرار اكمامه الذهبية وساعة يده الذهبية الضخمة. لاحظت فيفيان كل هذه التفاصيل بعبسة استياء واشمئزاز. فهي تعرف ماذا يعمل ترانت كي يعتاش. فالرجال الذين يربحون ثروة ضخمة على حساب الغير يزعجونها ولا تبالي بهم، بل تتحاشى رفقتهم. غادرت السيارة الطرقات الواسعة وراحت تتسلق التلال الخضراء. فلمحت فيفيان جدران الكاسبا، والجامع الكبير والقبب والمنارات. . . كل هذا الجمال الذي كانت تحاول نسيانه بات هنا، امام عينيها، ليتحداها. ولما كانت تخفض نظرها، رمقها ترانت كولبي بنظرة ساخرة وقال:

- استفيدي من التأمل جيداً في هذه المناظر لأنه ليس عندك الوقت للقيام برحلات ونزهات سياحية. فروبرت عاجز عن مغادرة المنزل ويأمل في رؤيتك بقربه باستمرار.

- اريد ان اعبر لك عن تعاطفي ومودتي تجاه روبرت... هذا الضعف المفاجيء... عندما علمت بالنبأ، كنت...

قاطعها قائلاً:

- يعرف روبرت انه يبقى لديه من هذه الحياة اياماً معدودة، لكنه ليس كئيباً كما تتصورين. بالعكس، انه مرح بالرغم من مرضه وارغب ان يظل هكذا. ودورك ان تبقي بجانبه من دون ان تذكريه بعاهته، لأننا لا نتداول هذا الموضوع ابداً.

دخلت السيارة الباب الحديدي لمنزل يسيطر على المدينة. وبرزت الفيللا ذات الجدران البيضاء والسقف الأحمر والقبب والسلالم الحلزونية.

وشرح لها ترانت كولبي:

- تدعى هذه الفيللا «كوريا»، وهذا يعني «التلة».

اجتازت السيارة بستان خوخ ثم بستان برتقال، لتستقر نهائياً تحت اشجار الأرز. صعدوا السلالم الرخامية ولما وصلوا الى البهو، قال ترانت كولبي بابتسامة كريهة:

- مريضنا يدخل الى فراشه في السادسة مساء كل يوم. لذلك عليك ان تنتظري حتى صباح الغد كي تتعرفي اليه. العشاء سيكون جاهزاً بعد ساعة من الآن.

وبينما كانت فيفيان تستدير كي تتبع عبدول، اضاف ترانت قائلاً:

- لا يوجد في هذا المنزل سوى الرجال. اذا كنت تفضلين ان اوظف لك خادمة، فلا مانع لدي.

- بامكاني الاهتمام بنفسي على احسن وجه.

اجابها بسخرية واضحة:

- كما تشائين.

ثم اشار برأسه وابتعد. اما فيفيان فتمكنت من رؤية بعض السجاد العجمي والأثاث القديم، ولم تشعر تجاه صاحب المكان الا بالنفور والاشمئزاز.

ادخلها الخادم الى غرفة واسعة، لا يقل ديكورها ترفاً عن الطابق الأرضي. السرير واسع ومصنوع من القماش المشجر والمقصب. البساط احمر سميك. اشعل عبدول النور في الحمام، وازاح الستائر وقال باللغة الانكليزية وبلهجة حادة:

- هل ترغب الآنسة بشيء آخر؟

- كلا، يا عبدول، اشكرك.

بالرغم من منظره المتجهم، كانت نظرة الخادم دافئة وعلى شفتيه ارتسمت ابتسامة لطيفة. ابتسمت له فيفيان بدورها بينما كان يغادر الغرفة. ثم انصرفت الى افراغ محتوى حقائبها. اغتسلت بسرعة وتزينت ببساطة ثم ارتدت فستاناً من الكتان الوردي ونظرت الى نفسها في المرآة فشعرت بتوتر غريب. عيناها الجوزيتان لا تظهران قلقها. اطمأنت وخرجت من غرفتها.

على طاولة غرفة الطعام تلمع الآنية المصنوعة من الكريستال والفضة. وترانت كولبي ببزته السموكينغ كان في انتظارها. فقال بلهجة ودودة متصنعة:

- مساء الخير، يا فيفيان. هل اعجبتك شقتك؟

اجابت بهدوء:

- نعم، شكراً.

وبينما كان يساعدها للجلوس على الكرسي المنحوت، احست بعطره الثاقب. ثم دخل خادم آخر يدعى معين، يرتدي سترة مقلمة وسروالاً عريضاً. وكانت مهمته القيام بخدمة المائدة. فراح ترانت

كولي يحدثها خلال العشاء عن امور لم تكن تهمها ويفتح معها تحقيقاً فضولياً.

ـ كان روبرت يكتب لك باستمرار ويرسلها الى ابلسهوروست، قرب اوكسفورد أليس كذلك؟ لقد سبق وزرت هذا المكان. هل تسكنين هناك منذ صغرك؟

ـ كلا. لقد انتقلت الى هناك منذ سنوات.

ـ مع عائلتك؟

ـ وحدي. كنت احب هذه المدينة وبحثت عن عمل لي هناك. والآن اعمل سكرتيرة في شركة كبيرة للمبيعات.

ـ لكنك تبدين لي امرأة لا تكتفي بالحصول على وظيفة ثانوية.

ـ لست سوى موظفة صغيرة وآسفة ان اكون قد خيبت آمالك.

ـ في كل حال، كنت انتظر منك ذلك.

وبعد انتهاء العشاء، اعلن قائلاً:

ـ يمضي اخي معظم اوقاته في بركة السباحة، فما زال قادراً على التحرك بسهولة في الماء. عليك ان ترافقيه في السباحة لئلا تخيبي ظنه.

ـ اسبح جيداً لكن. . . تصورت. . .

ـ روبرت ليس معاقاً يتألم. اخلعي هذه الفكرة من رأسك. مرضه لا يسمح له فقط بأن يقوم بالنشاطات التي يتمتع بها اي شاب بصحة جيدة.

شعرت فيفيان بالدم يعلو وجهها، ولاحظ ترانت كولي هذا الأمر في الحال وسألها بسخرية:

ـ ماذا جرى؟ هل انت خائفة من العلاقات مع رجل لم يسبق ان التقيت به من قبل؟

استعادت وعيها في الحال واجابت بلهجة حازمة:

ـ لا شك ان روبرت رجل جذاب ولطيف، في الواقع، كما كان عليه في رسائله.

زم ترانت عينيه الزرقاوين وقال:

ـ انا شديد الفضول حيال معرفة ردة فعل اخي عندما سيراك.

بدأ الحديث يدخل نمطاً خطيراً. وقفت فيفيان من دون استعجال وتوجهت نحو النافذة. صحيح ان اسئلة ترانت ارهقتها، لكن اصعب الأمور هي المواجهة مع روبرت. ماذا سيكون رأي روبرت بها؟ هل سيلاحظ لعبتها؟ ارتعشت بصمت من دون ان تظهر ذلك. وبحزن راحت تنظر الى سقوف الكاسبا، والمنارات الممتدة نحو السماء المنجمة. اقترب منها ترانت وقدم لها سيكارة وقال:

ـ هل تعجبك الاقامة في طنجة؟

اجابت بابتسامة حزينة:

ـ لست هنا لأزور البلاد، بل لأن روبرت بحاجة الي. واي سبب يجعلني اقوم بهذه الرحلة لولا حبي له؟

قال وهو يسحب عميقاً من سيكارته:

ـ للتعرف الى بلد جديد، مثلاً. او لقضاء عطلة في فيللا مغربية فاخرة.

هذا اذن سبب سخريته المبطنة وتلميحاته الغامضة! يعتقد انها جاءت الى هنا للكيف. . . وانها انتهزت الفرصة الأولى لترك عمل ممل بحجة مرض روبرت. . . يا لوسي المسكينة! اجابت الفتاة بغضب واحتقار:

ـ لا تتصور ان كل هذا الترف يثيرني!

اشارت بحركة من يدها الى الأثاث الفاخر والشرفات المضاءة،

ثم اضافت:

ـ لا اصر على الاشتراك بهذه الثروات الملطخة بالعار!

ـ تعرفين اذن اني املك كازينو؟ ومهنتي هذه لا تعجبك؟

رفعت ذقنها بفخر واعتزاز وقالت:

ـ في الحقيقة، انا استخف تلك. وانت في وضع لا يسمح لك ان تعظني بأمر اخيك!

ـ انت لست من عصرك، يا فيفيان. في ايامنا هذه الكازينو يعتبر مهنة محترمة يتعاطاه كبار هذا العالم.

سألته مندهشة من شجاعتها لعنادها امام هذا الرجل المخيف:

ـ هل هذا سبب اختيارك؟

ـ ربما.

تظاهر بجهل ملاحظة ضيفته اللاذعة ونظر الى ساعة يده وقال:

ـ حان الوقت ان اذهب لعملي. تجدين في غرفة المكتبة اختياراً واسعاً من الكتب والاسطوانات الكلاسيكية والحديثة.

ـ اشكرك، لكنني متعبة وافضل ان اصعد الى غرفتي.

قال باصرار كأنه يريد ان تكون له الكلمة الاخيرة:

ـ انت على حق. لأن الغد يوم كبير. روبرت متحمس ان يتعرف اليك ولا يجب ان تخيب امله. تصبحين على خير، يا فيفيان.

خرج من الغرفة وبعد لحظات، اقلعت السيارة. فاحتل فيفيان خوف كبير.

هي الآن في طنجه، في منزل اشخاص مجهولين، تحل مكان صديقتها العزيزة. هل كانت على حق في الانصياع لتوسلات

لوسي؟ قبلت ان تلعب هذا الدور فقط من اجل حماية روبرت، لكنها لم تفكر بوجود ترانت كولبي الذي يسهر على شقيقه مثل فهد يعتني بصغيره الجريح.

راح قلبها ينبض بسرعة وهي تصغي الى هدير المحرك يبتعد في الليل. عليها الحذر، لأن ترانت سيتصرف من دون شفقة تجاه اي انسان يحاول ايذاء اخيه.

٢ ـ حوض السباحة

ومنذ ان افاقت فيفيان من نومها استنشقت رائحة هذه المدينة وعطرها الذي كان عزيزاً على قلبها في الماضي: البهارات، خشب الصندل، الياسمين. . . كم كان سهلا عليها كبت حزنها في انكلترا البعيدة الباردة!

ـ تنهدت ونهضت من سريرها.

ازاحت الستائر ودهشت لرؤية البحر الازرق الذي ايقظ في ذاكرتها ذكريات الماضي الحلوة والمرّة. ورأت الكاسبا محاطة بهالة وردية وليلكية بتأثير شمس الصباح الباكر، وبارزة بوضوح من بين اشجار السرو والشربين والاوكاليبتوس. الى يمينها، على طول الشاطىء الرملي ووراء اشجار النخيل العالية تظهر البنايات وقصور

طنجة البيضاء. وهنا، في باستور، يقع فندق الرياض. هل ستتمكن يوماً من نسيان هذا الفندق واسمه. . . من نسيان تلك السهرة حيث تعرفت فيها الى غاري؟

أغمضت عينيها لتحاول محو هذه الذكريات الناعمة من مخيلتها.

لماذا آه، لماذا عليها ان تعاني مثل هذا العذاب؟

لكن ألمها لن يمكث طويلا. فمنذ اربع سنوات وفيفيان تفرض على نفسها مخططاً نظامياً قاسياً غايته منعها من الاستسلام والخضوع لهواجس مخيلتها. تمالكت نفسها وتوجهت الى الحمام.

وبعد ان اخذت حماماً بارداً، ارتدت فستاناً مقلماً، وسرّحت شعرها وتناولت حقيبتها المصنوعة من القش وخرجت من غرفتها.

كانت الشرفة محاطة بسلسلة متوازية من القبب المتشابهة. وفي طرفيها، برجان أبيضان حيث تقع غرفتا الاستقبال. ألقت الفتاة نظرة سريعة الى داخلها وشاهدت الاثاث، من طراز لويس الخامس عشر، حيث اضيفت المصابيح المغربية والصناديق الثقيلة المحفورة والارائك الجلدية. . . ابتسمت بسخرية امام هذا الترف ثم هبطت السلم الخارجي متجهة الى حوض السباحة. ومن خلال اشجار النخيل والشجيرات المزهرة، سمعت اصواتاً عالية. لا شك اذن ان حوض السباحة يقع من هذه الجهة. راح قلبها ينبض بسرعة. روبرت هناك ينتظرها بفارغ الصبر. من أين لها الشجاعة لعبور هذا الممر المشجّر؟ فجأة شعرت بضعف وخجل. لا يمكنها ابداً النجاح في تمثيل دور صاحبة الرسائل! وخطر ببالها ان تتوجه فوراً لرؤية ترانت كولبي، والتصريح له عن خداعها وتعود الى انكلترا على الفور. . . لكنها تخيّلت وجه لوسي المتوسل. . . ووجه الشاب المشلول، الذي يبحث عن قليل من السعادة يتمتع بها في آخر ايام حياته.

ليس امامها الاختيار. تحلت بالشجاعة وهبطت السلالم الباقية المؤدية الى الشرفة الثانية حيث حوض السباحة وراء المزروعات الكثيفة. شاهدت من بعيد وجود شخصين، بينهما خادم. نعم، وهذا الكرسي النقّال!

فانعقدت حنجرتها واقتربت من الرصيف. كانت تسير باناقة، ومن دون اي انزعاج مستمتعة بحرارة الشمس تلمس ذراعيها. ولما وصلت قرب روبرت، وبابتسامة ناعمة بدأت تلعب الدور الذي وافقت على اتخاذه فصرخ المعاق ماسكاً يديها:

- فيفيان! أخيراً.

- روبرت! من زمان اريد مقابلتك!.

وبخجل ابتعدا. وراحت فيفيان تراقب الرجل محاولة ان تعطي لنظراتها بريقاً حنوناً وحياً. كانت بشرته سمراء من شدة تعرضها لأشعة الشمس. عيناه زرقاوان قاتمتان. لكنّ ساقيه وذراعيه وكتفيه تبدو كأنها منخورة من الداخل. انعقدت حنجرتها لكنها ظلت مبتسمة لا تبعد نظرها عنه بالرغم من رغبتها في الصراخ لقساوة القدر.

كان شعره كثيفاً واشقر. يشبه اخاه الكبير لكن ملامحه كانت اشد رقة ونعومة. وباختصار كان كثير الجاذبية.

قال ماداً يده يلمس رأس الفتاة الاملس:

- شعرك تماماً كما في الصورة. وانت تماماً كما تخيلتك... كم انت جميلة!.

رمقته فيفيان بنظرة اعجاب واجابت ضاحكة:

- لو تعرف اي اثر تفعل بي، لكنت تعاظمت من الكبرياء!.

وجّه اليها ابتسامة فاتنة وازاح كرسيه قليلا ليقدم لها خادمه الذي

كان واقفاً وراءه:

- هذا هارون. ينقلني الى الحوض عندما اشعر برغبة للسباحة، وفي المساء يحملني الى فراشي.

كان هارون ممشوق القامة، اطول من عبدول، يرتدي سروالا ابيض وسترة فاتحة وعمامة فوق رأسه.

اضاف روبرت قائلا:

- يتكلم اللغة الانكليزية بقدر ما انا اتكلم اللغة العربية، لكننا نتفاهم قدر المستطاع! اليس كذلك، يا هارون؟

الظاهر ان خادمه لم يفهم شيئاً لكنه اجاب قائلا:

- نعم يا سيدي.

- هارون من قبيلة الاوروزات جاء به ترانت من مراكش فانا لست بوزن الريشة ولا احد هنا في طنجة كان على استعداد لقبول هذه الوظيفة. يعلمني هارون اللغة العربية. وعندما احاول اثير الضحك لكنني مصرّ على تعلم هذه اللغة كي اتمكن من الاتصال به بطريقة افضل.

وهو الذي لا يبقى له الاّ القليل ليعيش! ادركت فيفيان ان عليها الاّ تظهر له اي ردة فعل مهما كانت شجاعة روبرت تثيرها. وكانت تتحدث معه عندما وصل ترانت من الجهة الثانية للحوض. لا شك انه اراد ان يحضر هذا اللقاء الاول من دون ان يراه احد. وامام هذه الفكرة، احمرت وجنتا فيفيان بعنف... لسببين: اولا من القلق: هل لعبت دورها كما يجب؟... ثم من النقمة! في كل حال، لم يكن ترانت يثق بها ابداً.

كان يرتدي سروالا اصفر وقميصاً حريرياً معرقاً. ويبدو مسترخياً، واثقاً من نفسه. لا شك انه يكبر اخاه بعشر سنوات او

اكثر. وتعترف فيفيان ان هذا الرجل جميل الطلعة بشعره الاسود ووجهه الوسيم.

لم تظهر فيفيان اي شيء مما يدور في ذهنها واجتهدت في اتخاذ تعبير مرح بينما كان صاحب الدار يتقدم منها.

قال ترانت قبل ان يرمق اخاه بنظرة حنونة:

ـ صباح الخير، يا فيفيان. والآن، يا اخي الصغير، لقد صدقت بوعدي، أليس كذلك، هل انت سعيد؟

امسك روبرت بيد الزائرة وقال:

ـ فيفيان اروع مما كنت اتصوّره!

ثم شرح لفيفيان قائلا:

ـ اصريت على ترانت ان يوافق على استقبال امرأة في هذا المنزل. انه عازب عنك وشديد الصعوبة في اختيار مدعويه.

ـ سأحاول عدم ازعاجه.

قال ترانت بصوت ناعم وهو يقدم لها كرسياً لتجلس:

ـ ولا تنسي ان تمشي على رؤوس اصابعك! اعترف بأن عنصراً انثوياً في هذا المنزل يشكل نوعاً من الزينة.

اراد روبرت ان يعرف كل شيء عن وصول صديقته... الاستقبال في المطار، الطريق في السيارة حتى الفيللا. اجاب ترانت وفيفيان على اسئلته من دون ان يذكرا طبعاً المشاحنة الباردة داخل السيارة، والجوّ المتوتر خلال العشاء. وبينما كانا يتكلمان، كان روبرت يراقب كل واحد بدوره كأنه لاحظ سوء التفاهم من وراء ابتساماتهما.

وفي تلك الاثناء، كان عبدول ومعين يحضران المائدة في زاوية الشرفة المطلة على المناظر الخلابة. ولما اصبح الفطور جاهزاً نهض

ترانت وتبعته فيفيان، وقام هارون بمساعدة روبرت على ارتداء مئزره القطني ثم جرّ كرسيه حتى الطاولة.

المنظر كان رائعاً. ولدى رؤية هذه الاماكن الحميمة شعرت الفتاة بغصه وادارت ظهرها للمنظر. عبس ترانت بسخرية وقال:

ـ اي انسان لا ينبهر بمنظر الكاسبا الرائع ومنظر المرفأ!

اجابت الفتاة بهدوء:

ـ العظمة لا تهمني.

صرخ روبرت ضاحكا وهو يسكب الحليب في فنجان الشاي:

ـ انت تمزحين، يافيفيان. تذكري يوم وجدت نفسك فوق كومة العلف في مزرعة والدك! لقد وصفت لي هذا الحادث بكل تفاصيله، انسيت ذلك؟

نظر ترانت متصلا الى كتفي الفتاة الصغيرتين ومعصميها النحيلين وقال:

ـ انت ابنة مزارع؟ آه فهمت!

قال روبرت بفخر:

ـ وفوق ذلك، فهي ذكية جداً! تصوّر انها تسلقت مرّة فوق كومة علف بغية الوصول الى مرفاع على علو ١٥ متراً، كي تحلّ بكرة معلقة.

ـ يا للوقاحة!

اسرعت فيفيان في القول بعد ان امتلأ وجهها بالاحمرار:

ـ منذ زمن طويل لم اعمل في القرية.

شعرت فيفيان بالارتياح لوصول الفطور اذ تغيّر الحديث. وقدمت ثمار البحر، ولحم العجل واكباد الدجاج والعسل والبلح والتين والليمون الافندي. وفكرت فيفيان ان كل هذا التنوع في المأكولات

لا بدّ ان تكون غايته اثارة قابلية روبرت.

وكان روبرت يحب الحديث عن تاريخ طنجة. وبينما كان يتذوق هذه المأكولات الشهية، راح يقص على صديقته الحكايات الفكاهية حول هذه المدينة، محاولاً تسليتها. فشعرت بالارتياح يحتلها تدريجاً.

ومعين كان يهتم بخدمة المائدة وخاصة بالآنسة الضيفة. قدم لها صحن البلح اللذيذ للمرّة الثانية قائلاً:

ـ اذا سمحت الآنسة، احب ان اقدّم لها من جديد هذا البلح الذي يشبه دموع الشمس.

ـ ان طعمه لذيذ، يا معين، لكنني لا استطيع ان آكل المزيد منه. شكراً.

ـ العصفور يأكل اكثر من الآنسة!

اجابت ضاحكة:

ـ ايّ نوع من العصافير، يا معين؟ الوز ام البط؟

ومن دون انتباه كانت فيفيان تتكلم باللغة الفرنسية ولم تنتبه الى ذلك الّا بعد فترة قصيرة وترانت كان يراقبها بشدة ثم قال:

ـ تتكلمين الفرنسية بطلاقة، يافيفيان.

اجابت بلطف:

ـ اشكرك.

هذه المرّة بذلت جهداً كبيراً لتمنع الدم من الصعود الى خديها. لا شك ان اعصابها متوترة، لأنه ليس غريباً ان تتقن لغة تستعمل بكثافة في طنجة ويتقنها عدد كبير من الناس!

بعد الفطور، لم يدخل ترانت الى المنزل، بل رافق روبرت وفيفيان الى الشرفة حيث حوض السباحة، وجلس امام طاولة وراح ينقب ويراجع في السجلات والمستندات.

وجلست فيفيان قرب روبرت وشعرت فجأة برغبة في الاستراحة بعد هذا اللقاء المتوتر او على الاقل، بعيدة عن انظار ترانت كولبي. وترانت يرغب في تكريس معظم وقته لأخيه، وهذا امر طبيعي جداً. لكن من جهة ثانية كانت الفتاة تشعر بالتعب من البقاء دائماً متحفظة ومحترسة وعرضة للأنظار والانتقادات. بعد قليل اعلن روبرت قائلاً:

ـ فيفيان وانا سنقوم بنزهة قصيرة، يا ترانت. سأريها الحديقة.

رفع ترانت رأسه وهزّ حاجبيه بسخرية وقال بنبرة حادة:

ـ لا تقلقا عليّ.

اقترب هارون ليجرّ الكرسي، فأوقفه روبرت في الحال وقال:

ـ ستساعدني فيفيان على ذلك، يا هارون.

قال ترانت ملاحظاً:

ـ سيكون ذلك حملاً ثقيلاً عليها.

اجابت الفتاة:

ـ سأتدبر الامر، ارجوك.

بامكانها ان تجرّ دبابات الاقتحام من اجل ان تتخلص من هذا الرجل ولو لفترة قصيرة.

اعطاها روبرت بعض التعليمات واستدارا حول حوض السباحة لاجتياز ممرّ صغير بين الاسيجة العالية. كانت الحدائق روعة حقيقية. ووسط حوض بشكل نجمة، مبلط بالفسيفساء الملونة، يهدر مسيل ماء، تحيط به اشجار النخيل والموز. وهناك ممر طويل يصل الى عرزال مصنوع من تشابك العريش والياسمين، ثم يمتد الى العشب الاخضر المسقي والمعتنى به باتقان والمحاط بمساكب الازهار العطرة وبعض اشجار الارز والفلفل التي كانت ترمي ظلالها هنا

وهناك. مرّت فيفيان تجرّ روبرت امام استراحة داخل البستان تعلوها قبة مبنية على اعمدة حجرية. واجتازا المقاعد الخشبية التي تظللها اشجار الزهر والغار. ومن خلال اوراق الاشجار لمحت فيفيان المروج الهادئة البعيدة عن الضجيج والضوضاء.

وشاهدت النساء البربريات يعملن من دون توقف في بستان البرتقال. فابتسمت. لا شك ان تراثت مسرور من هذه الامبراطورية الصغيرة التي يبنيها في طنجة... من اموال الغير، ولا يبدو انه منزعج من ذلك ابداً.

لم يكن روبرت مهتماً بالمنظر. فاشار اليها بالتوقف. فجأة لمحت فيفيان من وراء الحصار البحر الازرق الصافي.

قال روبرت ممسكاً يد الفتاة:

ـ فيفيان! التقينا اخيراً. لو تعرفين كم كنت انتظر هذه اللحظة بفارغ الصبر.

حينئذ لاحظت في عينيه الزرقاوين ظلّ خوف وقلق ونداء نجدة أثّرا بها حتى اعماق كيانها. لذلك اجابت بحرارة:

ـ روبرت، لا ارغب الاّ ان تكون سعيداً.

ـ عانقيني، يا فيفيان. انا بحاجة الى حبك... ان احسك بقربي!

جذبها نحوه بشغف. حاولت الفتاة عدم الرجوع الى الوراء من زمان لم تعانق احداً. وتذكرت غاري... عندما كان يضمها اليه... لكن الآن ليس غاري، انما رجل آخر، لم تعجبها الفكرة، اخيراً ابعدها روبرت عنه ونظر اليها بارتباك وقال:

ـ رسائلك كانت تعد باكثر من ذلك، لكنني اكتفي بهذا في الوقت الحاضر.

ولاخفاء ابتسامة مكبوتة، وضعت فيفيان يدها على شعره الاشقر وسألته:

ـ من يقص لك شعرك؟

ـ هارون لكن بامكانك الاهتمام بذلك واعدك ان اكون عاقلاً والاّ اتحرّك.

كان يتكلم بمزاح لكن فيفيان رأت في عينيه رزانة وجاذبية، فحزن قلبها. لا، لا يجب ان يتعذب! مهما يكن...

قالت وهي تداعب شعره القمحي:

ـ احب شعرك هكذا. لا اريد ان اغيرّ شيئاً.

قال روبرت بصوت مليء بالانفعال:

ـ فيفيان، يافتاتي الناعمة، كم سنفرح معاً! انتظري متى تريني في حوض السباحة! في الماء انتقل بسرعة كبيرة... وانصحك بالحذر مني!

اجابت بفرح على مناكدته:

ـ اراهن انك لن تقدر ان تقبض علي.

ـ تمزحين! انت لا تجيدين السباحة، وهذا ما ورد في رسائلك! لماذا لم تتذكر محتوى رسائل لوسي؟ لكنها تمكنت من انقاذ نفسها والقول بسرعة:

ـ اخذت دروساً في السباحة في المدة الاخيرة وقمت بتمارين عديدة واصبحت الآن سبّاحة جيدة.

سحب يدها بلطف من شعره ليجعلها تجلس على كرسيه. وقال لها:

ـ قولي... متى لاحظت انك بدأت تحبينني؟

تمنت الفتاة الاّ يسمع الرجل نبضات قلبها السريعة. متى؟

حاولت التذكر واجابت بلهجة خفيفة:

ـ آه، باكراً جداً! تقريباً منذ البداية.

وللمرّة الثانية بدت خيبة الامل على وجهه وقال بابتسامة مسكينة:

ـ هل نسيت ذلك الاسبوع عندما ارسلت اليك بعض زهر الليمون فوضعتها في ديوان شعر وارسلته اليّ . . .

وراح يلقي احد ابيات الشعر:

ـ غناء القبّرة وهي تحلّق في الليل الكالح . . .

لم تكن ڤيڤيان تعرف هذا البيت، فاطلقت ضحكة مرتبكة وقالت:

ـ طبعاً! لكن الآن، انا هنا وهذا ما يهم، اليس كذلك؟

احاط روبرت خصر الفتاة بذراعيه وضمها اليه وقال:

ـ انت جميلة جداً لكن ذاكرتك ضعيفة! لا الومك بل احبك.

طبعت على صدغه قبلة وشعرت بارتياح كبير ومحبة وحنان نحو هذا الرجل المعاق. هذا الحديث عسير ومعقد وحاولت تغيير الموضوع وقالت وهي تشير باصبعها نحو العاملات في المروج وهن يسقين البستان.

ـ دائماً بهذه الطريقة؟

ـ نعم، هكذا كل شجرة تأخذ حصتها من الماء.

ثم راح يشرح لها الاعمال القائمة هنا واخبرها ان اشجار الخوخ ستزهر عما قريب وان اخاه يحاول صنع بعض العطورات وتوزيعها على الاسواق. كانت ڤيڤيان تصغي اليه بشغف وحماس. ما دام الحديث يدور عن امور عامة، فلا مجال لديها للقلق. وروبرت كان سعيداً بوجود الفتاة قربه ومن وقت الى آخر كان يدير الحديث عنها وعن مراسلتها. وكي لا تقع في اخطاء اخرى، كانت تسرع في

عرض مشاريع الايام التالية.

كانت الشمس في اوجها عندما عادا الى المنزل عن طريق مختلف يطل على منظر خلاب وسرّي. هنا تنتصب بين الجدران الحجرية المغلفة بالنباتات المتسلقة مقصورة مهدمة. هذا البناء الانيق المصنوع من القرميد الوردي يذكر بالهياكل الصينية المتعددة الادوار. والطابق الثاني لا شك انه يطلّ على المدينة.

قال روبرت وهو ينظر الى وجه ڤيڤيان المتألق فرحاً:

ـ هذا متنزه بني في الماضي لاستقبال الضيوف. اما في الوقت الحاضر فتسكنه الطيور والحمام!

بعد ذلك اجتازا رواقاً مقنطراً. داخل البركة تنعكس الطبيعة الغنية. الزهر بكثرة ينبت في الاواني الحجرية والجرار الفخارية. ويعم في هذا المكان صمت ثقيل. وبعد ان سلكا ممراً ضيقاً تحيطه اشجار الميموزا الكثيفة، وصلا الى الفيللا بعد لحظات. اوكلت ڤيڤيان صديقها الى هارون وصعدت الى غرفتها. كانت منهكة القوى، ليس تعباً بل الضغط العصبي لتخوفها من ارتكاب خطأ احمق. لم يسمح لها الوقت للاسترخاء، فما ان غسلت وجهها وسرّحت شعرها حتى سمعت الجرس يرن معلناً موعد الغداء.

كانت غرفة الطعام الصغيرة حيث يقام الغداء عادة مستديرة الشكل، اثاثها رائع وتطلّ على حديقة مقفلة حيث تتصاعد رائحة الورد والغاردينيا. ولما دخلت الى غرفة الطعام توقف قلبها عن الخفقان، خلال لحظة، ذلك لأن ترانت كان في الداخل.

على الطاولة وضعت الآنية الصينية والكريستال الثمين. هذا الديكور المتغير باستمرار لا شك ان غايته إفراح هذا الشاب المعاق، كي ينسى واقعه المرير والحزين والرتيب. يصرف ترانت الاموال

الطائلة من اجل اسعاد اخيه، اضافة الى الحنان والمحبة والتضحية.

الطعام كان لذيذاً لكن الفتاة الانكليزية لم تتمكن من تذوقه كلياً لأنها كانت متحفظة خلال فترة العشاء كلها. اما روبرت فكان في مزاج رائع. وراح يشرح لضيفته قائلاً:

ـ الكازينو الذي يديره ترانت مبني على الطراز المغربي. عندما انتقلنا الى طنجه، ذهبت مرّة الى هذا الكازينو. الزبائن خليط من العرب والارستقراطيين الاوروبين. يمكنك ان تحتسي هناك ايّ مشروب، من الشاي حتى المشروبات القوية. وفي الصالة الخسارة يمكن ان تصل من مئة دولار الى خمسة آلاف.

قالت فيفيان بلهجة خفيفة وهي ترمق ترانت بنظرات وقحة:

ـ وكل هذا المال يصب في الخزنة العائلية.

قال ترانت رافعاً كتفيه:

ـ الحظوظ متعادلة والربح وارد كالخسارة.

ـالثروات تتكدس والعائلات تفلس... والكازينو يسخر من كل هذا!

سكب ترانت كولبي كأساً جديدة قبل ان يجيب آلياً:

ـ انها لعبة قديمة كالعالم. ما أفعله هو اعطاء امكانية للاعبين ان يمارسوا رياضتهم المفضلة.

قالت الفتاة بلهجة قاطعة وصوت لاهث:

ـ حسب رأيي، انها طريقة ماهرة لتشجيع نقائص الجنس البشري.

ـ للأسف ان النساء يعتبرن الكازينو مكاناً للخطيئة... حيث الانسان مهدد ان يخسر نفسه. بالنسبة الى الرجال، بالعكس، هذه التسلية تستدعي كلّ حواسه.

ـ ما عدا حاسته الجيدة!

ولكي تحسم هذا الخلاف بينهما اضافت الفتاة ضاحكة:

ـ أصر ان تكون لي الكلمة الاخيرة. في كل حال، طنجة برأيي مدينة جميلة جداً ولا يجب ان تفسد بهذا النوع من التسليات.

اجاب صاحب الدار بابتسامة بشوشة:

ـ لكل جنة حية!

اعلن روبرت قائلا:

ـ الساعة تقترب من الثانية! ترانت، قل لمعين ان يستعجل في جلب الفاكهة!

اريد ان اري فيفيان كيف اسبح جيداً.

ولكن اصّر ترانت على اخيه المريض ان يذهب للراحة والاستمتاع بقيلولته قبل التوجه الى حوض السباحة. وهكذا فيفيان للتمتع بقليل من الوحدة في غرفتها.

وضعت لوسي في حقيبة فيفيان بزة سباحة من الساتان واخرى باللون الأخضر الفاتح. وارتدت البزة ثم وضعت فوقها مئزراً خفيفاً وهبطت الى الشرفة. روبرت كان في الماء وهارون لا يفارقه من حول الحوض، وعلى استعداد للتدخل في اي لحظة يطلب فيها المريض مساعدته. شعرت فيفيان بانزعاج ان تخلع مئزرها لأن ترانت كان جالساً قربها يراقب المستندات. لكن روبرت ناداها بالحاح، فما كان عليها الّا ان تخلع مئزرها وتضعه على الكرسي والالتحاق بروبرت.

وما ان أصبحت في الماء حتى نسيت توترها. امسك روبرت بها بذراعيه العضليتين ورماها بعيداً. كادت ان تختنق من الضحك وراحت تسبح بكل قواها. لكن الرجل كان يتمتع بنشاط غريب، فقبض عليها بأسرع وقت. بعد قليل احست بالتعب لكنها كانت

تشعر بارتياح ما دامت في الماء تخاف ان تتفوه بالتفاهات حيال ملاحظات روبرت. ولأول مرّة منذ وصولها الى كوديا، بدأت تسترخي قليلاً.

بعد قليل تمددا على الأسرّة المملوءة بالهواء المضغوط وراحا يحتسيان المشروبات المنعشة. غير ان الشاب المعاق كان متعباً. ولما بدأت الشمس تميل نهض ترانت وامسك بيد ضيفته واقترح اليها قائلا:

- تعالي جففي نفسك سيصبح الطقس بارداً في غضون نصف ساعة.

لم تجد اي شيء تقوله للرد عليه سوى اطاعته في الحال. مدّ ترانت يده ليساعدها على الخروج من الماء. ولما تشابكت اصابعهما، احست بتيار حيوي يخترقها. وضع المئزر حول كتفيها واشتبكت نظراتهما لحظة قصيرة. ولما التفت الى الوراء كان هارون قد اجلس روبرت في كرسيه النقال. قال روبرت:

- لقد امضيت نهاراً رائعاً، يا فيفيان. اود ان يأتي الغد بسرعة.

جذبها نحوه وعانقها. واضطرت فيفيان ان تتبعه الى داخل المنزل. كانت تنوي هي ايضا ان تلجأ الى غرفتها للسهرة، لكنها سمعت ترانت يقول بلهجة متصنعة:

- العشاء سيكون جاهزاً كالعادة، يا فيفيان.

وما ان وجدت فيفيان نفسها في غرفتها ابتسمت ابتسامة حزينة. صاحب الدار لا يتركها مع روبرت وحدها الا عندما يتأكد من نواياها. ولما جاء الوقت للنزول الى العشاء، كانت مضطربة امام فكرة تناول الطعام برفقة ترانت الى درجة ان قلبها راح يخفق بقوة.

كان ترانت يرتدي بزة السموكينغ، لأنه بعد العشاء سيتوجه الى

الكازينو، مركز عمله وينتظر الفتاة في الغرفة التي تناولا العشاء فيها بالأمس. ما ان جلسا الى المائدة حتى عرفت الفتاة ان مخاوفها كانت في محلها. اذ قال لها ترانت بابتسامة باردة:

- اقدّم لك كل التهاني الصريحة، يا فيفيان! لا شك ان روبرت خاضع لسلطتك!

شعرت بالغضب يحتلها. كانت ترغب في ان ترد عليه بلهجة لاذعة، لكنها فكرت بلوسي وبذلت جهداً للقول بهدوء:

- انا سعيدة لانني حصلت على رضاك.

بريق ساخر لمع في عيني ترانت امام لباقة ضيفته. واثر ذلك دخل معين ليخدم على الطاولة. كان يتكلم الفرنسية وهو يقدم حساء البصل والكبيبات المطبوخة على الطريقة الفرنسية ونجحت فيفيان الا تظهر مدى معرفتها بهذه اللغة رغم اكتشاف أمرها. هل لاحظ رفيقها ما يدور في مخيلتها؟ لكنه قال، من دون اي شفقة:

- تسبحين جيداً . . . كأنك امضيت كل اوقات فراغك في الماء.

قالت محاولة عدم اظهار الارتجاف في صوتها:

- لقد اخذت دروساً في السباحة في مدرسة كبيرة.

- وهناك تعلمت ايضا ان تتكلمي الفرنسية بصورة جيدة؟

قالت مبتسمة:

- كلا. تعلمت الفرنسية بعد ذلك. وكذلك اتكلم اللغة الاسبانية.

- تدهشينني. الفرنسية والاسبانية: لغتان ينطق بها في طنجة بشكل غريب.

احمرّت بعنف وقالت:

- يوجد اناس موهوبون لتعلّم اللغات. وانا احداهم.

- لابنة مزارع، لا بأس بذلك!
- هناك انواع مختلفة من المزارعين.
راح ينظر اليها مفصلا ولاحظ تسريحة شعرها البسيطة وقميصها الكريمية اللون وتنورتها البيضاء العادية وقال:
- صحيح.
وخلال العشاء كانت فيفيان تتكلم بالاسلوب نفسه. وتهيأ لها انها فأرة بين قدمي هرّ شيطان. فقط ذكرى لوسي ترغمها على الابتسام برصانة ورباطة جأش، لكن في الواقع، كان رفيقها يزعجها كثيراً.
بعد القهوة ارادت ان تسرع الى غرفتها للاختباء. لكن اللياقة اشارت اليها بضرورة البقاء. وكأنها لا تخشى ابداً وجود ترانت، توجهت نحو النافذة لتأمل السماء المنجمة. ضجيج المدينة بعيد لا يتغلب على حركة الامواج في البحر. وظلت فيفيان قادرة ان تسمع زقزقة العصافير في الحديقة. اقترب ترانت منها، وضع يده في جيب سترته الداخلية، تناول منها علبة ذهبية وقدم لها سيكارة.
- ما كانت ردة فعل والدك عندما علم برحيلك ومجيئك الى طنجة؟
احنت رأسها لتقترب من نار الولاعة. والد لوسي؟ لا شك انه لم يكن على علم بمراسلة فتاته مع شاب يعيش في الخارج. رفعت عينيها وسحبت من سيكارتها واعلنت:
- انا كبيرة لأفعل ما يروق لي.
- صحيح. انت من عمر روبرت، على ما أظن.
- تقريبا. عمري ٢٣ سنة.
هذه المرّة لم تكن تكذب. نظر اليها مطولا قبل ان يعلن بصوت عابث:

- كنت اعتقد ان في ايامنا هذه الفتيات يتزوجن باكرا.
- كل النساء يبحثن عن زوج بعد انتهاء دراستهن! في كل حال وانت ايضا لم تتزوج بعد! ومع ذلك عمرك ٣٥ . . . ٣٦ سنة!
- ٣٧ سنة. كنت مشغولا حتى الآن. عملي يأخذ قسطاً كبيراً من وقتي، ولذلك تركت النساء بعيدات عني.
- هل يعني ان لا وجود للنساء في حياتك؟ لكل فردوس ثعبانه ونساؤه على ما اظن.
جاءت الى مخيلتها صورة ترانت في الكازينو محاطاً بجمهور من النساء الجميلات. وازعجتها هذه الصورة وسمعته يضحك ويقول:
- هناك ما يكفي من النساء لتسليتي. وما دمنا في هذا الحديث، لن تكون الفكرة سيئة ان قدمت لأخي بعض الحنان والمحبة عندما تتمنين له ليلة سعيدة!
اشتد الاحمرار بوجهها وهمست تقول:
- صحيح اننا كنا نتراسل منذ عدة شهور، لكنني التقيت به اليوم للمرّة الاولى.
- لكن روبرت لم يكن له ردة الفعل نفسها. انه شاب، مندفع ويجب ان تظهري له العاطفة نفسها.
- انا احتاج لبعض الوقت. احب روبرت لكنه يبدو متحمساً فوق ما توقعت.
- تتخلصين من المأزق كما يجب.
- لكن ليس مثلك، هذا اكيد، لانني لم ادخل كازينو في حياتي على فكرة، الم يحن الوقت كي تذهب الى عملك؟
اجاب بحدة وجفاف:
- اشكرك لتذكيري بالامر.

وبينما هو ذاهب، التفت الى الوراء واضاف:

- لا تعتبري نفسك مضطرة ان تقضي سهرتك مسجونة في غرفتك. تجدين كتباً رائعة في غرفة المكتبة. انه الباب الاول الى اليسار وأنت خارجة.

همست بلطف وتهذيب:

- اشكرك.

بعد قليل سمعت فيفيان محرّك الليموزين تبتعد. فتوجهت الى غرفة المكتبة لكنها لم تنجح في طرد الضغط الذي يحتلها لكن اذا انغمست في قصة جميلة، ستهدأ اعصابها. فبدأت في القراءة، لكن الكلمات راحت ترقص امام عينيها من غير معنى.

لقد قضت نهاراً مرهقاً وهي تلعب دور لوسي. وروبرت مقتنع انها هي صاحبة الرسائل، الانكليزية الواقع في غرامها. اما ترانت؟ هل نجحت في خداعه؟

لو بامكانها فقط ان تعرف هذه الحقيقة!

٣ - البحث عن الماضي

في البداية وفي بعض الاحيان كانت فيفيان تنوي الهرب لشدة ذعرها من الكذب. لكن مع مرور الأيام بدأت تتعود شيئاً فشيئاً حياتها الجديدة في كوديا. تمضي النهار كله برفقة روبرت. وفي المساء، كان عبدول يقود ترانت الى المدينة في الليموزين السوداء. وتبقى الفتاة الانكليزية وحدها. مرة واحدة في الاسبوع كان يذهب الشاب المعاق الى المستشفى حيث كانت تجرى له الفحوصات الطبية الروتينية. وتبقى فيفيان وحدها في الفيللا، تسرح في الحديقة حسب راحتها. هذه النزهات التي تقوم بها خلال غياب المريض كانت بمثابة بلسم لأعصابها المضطربة. ومرة اكتشفت المرائب وراء المنزل ورأت في داخلها سيارات عديدة ومن بينها سيارة سريعة صغيرة، حمراء

اللون يعلوها الغبار. وفكرت انها لا شك تخص روبرت. واحياناً كانت تستفيد من هذا النهار وتكتب للوسي الرسائل الطويلة وتقص عليها كل الحوادث المختلفة، ثم تـوكل معين في ارسالها بالبريد.

معظم فترات بعد الظهر كانت تقضيها مع روبرت في حوض السباحة. وكانت هذه اجمل وامتع اوقات النهار بالنسبة اليها. عندما كانت تسبح برفقة روبرت وتضحك على تهريجاته وهزله، لم تكن مضطرة ان تلعب دورها. لكنها لم تكن قادرة على نسيان وجود الأخ البكر، الذي كان يجلس كالعادة تحت مظلة ويعمل، ومن حين الى آخر كان يرفع رأسه لينظر اليها وهما يلهوان في الماء.

بدأت تشعر تجاه روبرت بالعطف والمحبة. كيف لا وهو رقيق القلب ورهيف الاحساس. مرضه جعله ناضجاً وحساساً الى درجة غير اعتيادية بالنسبة الى رجل من جيله. لم يذكر امامها ابداً القدر الرهيب الذي ينتظره غير انه ذات صباح ومن دون انتباه تناولا هذا الحديث عندما كانا يجلسان في المكان الذي يطل على المروج وامام عيونهما تنجلي ابنية طنجة البيضاء وتلمع تحت الشمس، وحيث يسمع من بعيد ضوضاء المدينة.

قالت له عفوياً:

ـ آسفة لأنه لا مجال لأن اصطحبك الى المدينة! بامكاني ان اجر كرسيك لو سمح لي بأخلك!

ـ ترانت لن يسمح لك بذلك. وحسب الاطباء تطول حياتي اذا بقيت في كوديا حيث الهواء منعش ونقي والجو هادىء.

لامت فيفيان نفسها على هذا الحديث وغيرت الموضوع في الحال.

والواقع العشاء هو الوقت الذي كانت فيفيان تخشاه اكثر من اي شيء آخر، ذلك لأن عليها تناول الطعام وجها لوجه مع ترانت. حاولت مرات عديدة ان تتسلح بالشجاعة وتعلن له بأنها تفضل ان تتناول عشاءها وحدها في غرفتها، لكن صاحب المكان كان يستغنم هذه الفرصة ليسألها عن مجمل ما حدث خلال النهار، ولا تريد ان توقظ في نفسه الشكوك. كان يتكلم عن اخيه الصغير بحنان ومحبة. ومن تفاصيل صغيرة ومن ملامح وجهه خاصة كانت تعرف الى اي درجة يتعذب ترانت من مرض اخيه.

في وجود ترانت كانت تعيش في خوف ان يكتشف قناعها. غير انه كان يعاملها بلياقة ويقدم لها سيكارة بعد القهوة وقبل الذهاب الى الكازينو. ولما كانت تسمع اخيراً صوت محرك الليموزين يبتعد في الطريق، كان بامكانها بسهولة ان تتخلى عن شخصية لوسي من دون ان تعرض نفسها لأية مخاطرة.

السهرات كانت مملة، تقضيها على الشرفة الواقعة قرب غرفتها. هناك، تحت السماء المنثورة بالنجوم، كانت تتمتع بمشاهدة المدينة القديمة. كانت تعيش حياتين: واحدة تكرسها لروبرت وثانية تتخيل غاري وتذوب حباً له.

في بداية اقامتها آلمتها الذكريات الماضية الى حد لا يطاق. وشيئاً فشيئاً، وخلال اوقات الوحدة، كانت تتذكر الأوقات المميزة لذلك الصيف الرائع، منذ اربع سنوات. ولم تعد تكتفي بمشاهدة اضواء المدينة وسماع ضوضائها، انما تريد الآن الاشتراك في حياة طنجة الممتدة حتى مروج كوديا... وان تجد غاري في شوارع كاسبا الصغيرة المكتظة، في رائحة المواقد الحطبية، في عطر الياسمين... ان ترى من جديد البغال المحملة بالسلال وطاولات المقاهي التابعة

لساحة السوق الصغير.

لماذا لا تذهب لزيارة المدينة؟ فهي حرة ان تقضي المساء على ذوقها. هارون يسهر على روبرت الذي يأوي الى فراشه في السادسة. ولا احد يراقب تحركات الفتاة... ومعين يعشق الشاشة الصغيرة ولا يبارح مكانه ما دامت البرامج لانهائية.

لقد اتخذت القرار النهائي، فدخلت الى غرفتها وانتعلت حذاء متيناً واخذت حقيبة يدها وسترتها وهبطت الى البهو، ثم خرجت من الفيلا الى الجادة بخطوات سريعة. اجتازت المروج، وبعد نصف ساعة وصلت الى المدينة.

وبعد قليل وصلت الى شارع الكاسبا. الزمن لم يعد له اهمية بنظرها. وجدت نفسها بين جمهور ضخم وقلبها ينبض بسرعة وهي تتذكر الأماكن الحميمة على قلبها. ومثل سائحة متعطشة للاكتشافات، توجهت فيفيان الى شارع الجامع الكبير، متصنعة انها تجهل الكلام المنمق الصادر عن الرجال الذين يرتدون القفطان. وفي شارع المجوهرات كان الباعة الجوالون يحملون على اذرعهم الساعات اليدوية، من المعصم حتى الكتف. المحلات الفاخرة ومكاتب الصيرفة تقع جنباً الى جنب ومحلات الصاغة الطافحة بالعقود. هذا الطريق المكتظ يفعل فعل المخدر في الفتاة. فما زال قلبها ينبض بسرعة وهي تعبر بين المارة وتحدق فيهم مفصلاً. لعلها ترى غاري فجأة! ماذا لو التقيا بعد هذه السنوات الاربع! لقد ردد غاري على مسمعها انه لن يغادر طنجة ابداً. فهي التي غادرتها آملة ان تنساه.

وصلت الى السوق الصغير، وهي الساحة المحاطة بالمقاهي. على الارصفة والشرفات تمتد الطاولات ويجلس امامها الرجال والنساء من

جميع الجنسيات، يتكلمون الاسبانية او العربية او الفرنسية. وجدت مقعداً فارغاً، جلست عليه وطلبت شراباً مغربياً منعشاً. ثم راحت تتذكر الماضي بشدة الى درجة ان الدمع تصاعد على عينيها.

عندما التقت غاري للمرة الأولى، كانت فيفيان تمضي عطلة اسبوعين في طنجة، ضمن رحلة منظمة. وغاري كان يعزف على سكسفون في جوقة الفندق. وخلال استراحة قصيرة، دعاها الى الرقص. كان شاباً وسيماً، بشرته كامدة وشعره اسود وجبينه واسع عريض. وللحال انجذبت فيفيان بشكله لكنها فهمت فيما بعد ان الجمال الخارجي خداع احياناً. وغاري كان مرحاً ومغامراً. تعلم بنفسه العزف على السكسفون ويعمل في هذه الجوقة فقط من اجل ان يعتاش. قبل نهاية عطلتها كانت فيفيان قد وقعت في حبه حتى الجنون. فأسرعت الى مكتب السياحة، ووجدت لنفسها عملاً ثم استأجرت غرفة صغيرة وقررت البقاء في طنجة لتكون قريبة من غاري. عاد رفاقها الى انكلترا من دونها ولم تكن نادمة على هذا القرار، اذ كانت تعتبر غاري الرفيق المثالي لها. امضيا الصيف على شاطىء البحر. وخلال اوقات فراغهما كانا يزوران الأماكن السياحية المغربية... مراكش، الرباط ومدنها القديمة، فاس واسواقها المشهورة. في المساء تعرفت فيفيان بواسطة غاري الى الحياة المغربية الليلية كأنها تعيش في جو «الف ليلة وليلة».

ثم بدأت الأمور تفسد. فقد غاري عمله في الفندق واصبح حزيناً كئيباً. وراح يطلب من الفتاة ان تسمح له بمشاركة شقتها لكنها لم تستسلم له ابداً. في كل حال كان رفضها للمشاركة في حياة واحدة عشوائية من اهم اسباب فراقهما. وذات يوم، وفي وسط الشارع، قال لها انه لا يرى سبباً للاستمرار في رؤيتها. طلبت منه ان يفكر ملياً

بالأمر، لكنه ادار ظهره الى الابد.

رأته فيفيان يختفي بين الجموع وكادت ان تخور ارضاً. غاري كان عالمها كله. منذ اللقاء الأول، تستيقظ كل صباح وتفكر فيه. وفي المساء تنام وهي تتذكر ابتسامته الساحرة.

وخلال ايام قليلة، وضبت حقائبها وركبت الطائرة عائدة الى انكلترا. كم جاهدت وتألمت كي تحاول ان تنساه! وهنا، في هذه الساحة المكتظة بالناس، بعد اربع سنوات، اغمضت فيفيان عينيها: لو شاهدت غاري في هذه اللحظة بالذات، لارتمت بين ذراعيه.

وبالرغم من كثرة السواح، من النادر ان تتنزه امرأة وحدها في طنجة. بدأ الناس يضايقونها، ورجال مشكوك بامرهم يرمقونها بالنظرات المغازلة. فقررت ان الوقت قد حان لاكمال طريقها والعودة الى كوديا.

عندما دخلت الى اليهو كانت الفيللا ما زالت مضاءة. فصعدت الى غرفتها بسرعة وخلعت ملابسها ودخلت الى فراشها.

ومنذاك اصبحت النهارات اقل مشقة على احتمالها. لكنها كانت دائماً متوترة الاعصاب عندما تضطر ان تلعب شخصية لوسي تجاه روبرت او عندما تتحدث الى ترانت. وكانت تنتظر المساءات بفارغ الصبر. اذ من الممكن ان تلتقي بغاري. لم تنخدع، فالسنوات الاربع الطويلة لم تنجح في محو ذكرى هذا الرجل من خيالها.

ومن ثم كبر الأمل في قلبها وراحت كل مساء تمشط المدينة بحثاً عنه. ولا احد كان يراها عندما تخرج او عندما تعود. خلال العشاء كان عليها ان تبذل جهداً لاخفاء تلهفها وقبول سيكارة ترانت مع الحفاظ على هدوئها. وما ان يخرج صاحب المكان، وتمر نصف ساعة

على ذهابه، حتى تخرج من المنزل للبحث عن عازف الساكسفون.

جالت في شوارع طنجة العريضة وفي مكاتب السياحة وفي غاليريهات الفنون وجميع المطاعم. مرة او مرتين خاطرت في الذهاب الى جادة باستور والقت نظرة على بهو فندق الرياض. وعندما تشعر بالتعب، كانت تجلس على احد مقاعد الرصيف حيث تجد صعوبة في تفحص المارة لأنها كانت باستمرار تتلقى تحرشات الشبان الوقحين.

انها تشعر بقرب اكثر من غاري في الشوارع الصغيرة الضيقة في المدينة وخاصة في الكاسبا.

لم يسبق ان دخلت وحدها الى الكاسبا. كان صديقها غاري يعشق هذا الحي المعروف بجدرانه السميكة وقصوره القديمة وممراته المتعرجة. كان يأتي بها دائماً الى هناك للتنزه برفقته.

وذات مساء ارتدت قميصاً وردياً وتنورة من الكتان الخفيف وزينت وجهها ليكن منظرها جيداً وراح قلبها ينبض بقوة واسرع من العادة: هل هذا حدس داخلي؟

وصلت الى الكاسبا بعد وقت طويل لأنها لم تكن تعرف الطريق جيداً واخطأت مرات عديدة في اختيار الطريق المناسب. ولما اجتازت جدران الكاسبا القديمة خففت خطواتها. ففي الشوارع الضيقة بعض البغال المحملة باكياس النعناع الطازجة المعدة لدخول السوق في الغد. رائحة القرفة واكياس القرنفل والبابريكا والصعتر تصدر من الدكاكين الصغيرة. الصبيان ذوو العيون السوداء الواسعة والأجسام النحيلة يتعلقون بابتهاج في ثياب الفتاة. في الممرات تمر النساء المحجبات. والرجال يجلسون على سلالم الفنادق، بجلابياتهم العريضة وعماماتهم يحللون بابتساماتهم العريضة مشاكل الكون.

الوقت متأخر والطرقات بدأت تفرغ شيئاً فشيئاً. وفيفيان ما زالت تسير في طريقها. وقبل ان تعود الى الفيلا ارادت ان تتسكع في ساحة المقاهي، مركز الثقاف المثقفين والفنانين والمقيمين الأجانب. هناك اكثر من اي مكان آخر، لديها حظ كبير ان تلتقي بغاري...

اسرعت الخطى في توتر كبير الى درجة انها لم تعد قادرة على التفكير بوضوح. ساحة المقاهي!... هناك يجب التوجه من دون تردد.

وعلى زاوية شارع صغير شاهدت اخيراً ما كانت تبحث عنه طوال السهرة. نعم انها الآن في شارع الرياض. انه الشارع الصغير الذي كانت تجتازه في الماضي برفقة غاري للتوجه نحو الساحة. بدأ نبضها يسرع بشدة. صبي مغربي في السادسة عشرة تقريباً ظهر فجأة امامها حاملاً طبلاً صغيراً وسألها باللغة الفرنسية:

- هل الآنسة الجميلة تبحث عن هدية؟

اجابت وهي تكمل طريقها:

- كلا. الوقت متأخر جداً.

كان مكتب السياحة ينصح السياح ان يصطحبوا معهم دليلاً رسمياً عندما يقومون بزيارة الكاسبا لأن الشباب هناك مزعجون ولجوجون احياناً.

عاد الصبي يقول بلغة انكليزية سيئة:

- انت اميركية. هل تشترين هذا الطبل؟ سعره رخيص جداً.

قالت له لتفهمه ان محفظة نقودها ليست محشوة بالدولارات:

- لست اميركية، بل بريطانية، ارجوك انا مستعجلة.

- خمس استرلينيات فقط! ثلاث...

فيفيان تكمل طريقها والصبي يلحق بها ويقول:

- ١٥ درهماً... عشرة...

ولما وصلت فيفيان الى الساحة، خاب املها، اذ لم تجد الا بضعة زبائن امام الطاولات كانوا يشبهون المتسولين المشردين اكثر من الفنانين المثقفين.

يا لهذه المفاجأة! تقدم منها اربعة صبيان يركبون الدراجات القديمة وراحوا يحومون حولها.

القت نظرة الى ساعة يدها واصيبت بذعر انها الساعة الواحدة بعد منتصف الليل. يجب العودة في الحال الى كوديا. لكن في هذه المتاهة ستضل طريقها. عفوياً التفتت نحو الصبي الذي كان يلحق بها وسألته:

- هل تعرف طريقاً للخروج من هنا بأسرع ما يمكن؟ اصدقائي بانتظاري.

قالت هذا الكلام لتحمي نفسها حتى لا يعتقد انها وحدها.

- انا اسكن في الكاسبا واعرفها جيداً.

رمى طبله الى احد ركاب الدراجة وقال له بضع كلمات بالعربية ثم اشار الى فيفيان لتتبعه. اجتازا الساحة وشعرت الفتاة بالنظرات الفضولية تحدق بها. في ثيابها الغربية كانت شواذاً بين هؤلاء الرجال الذين يرتدون الجلابيات. ارتاحت تقريباً لدى وصولها الى شارع مضيء، لكنها لاحظت فجأة من بعد بعض الاشخاص الغريبين يقتربون منها. كانوا راكبي الدراجات الذين التقت بهم في الساحة. راحوا يلحون عليها قائلين في ضحكات شيطانية:

- دولا، دولار... اميركية!

ضمت حقيبة يدها بشدة نحوها، لكنها ندمت في الحال لما فعلته. فهذا الظهور بامتلاك كمية كبيرة من المال وهي لا تحمل بالفعل الا

القليل من الدراهم! وفي هذه الأثناء شاهدت الباب الذي يفتح على شارع المدينة، فاطلقت زفرة ارتياح.

خارج الكاسبا الشوارع مكتظة بالناس وعلى ضفاف البحر واجهات الفنادق مضاءة. توجهت فيفيان نحو هذا الشارع فرحة للتخلص من اللاحقين بها. ارادت ان تقترح على دليلها مكافأة مالية صغيرة لتشكره على مساعدته، لكنه، بعد ان تأكد من ان لا احد ينتظر الفتاة، هجم بسرعة عليها وانتشل منها حقيبة يدها واسرع نحو صديقه الذي فتح المحفظة بطريقة درامية. كانت فيفيان تجن غضباً. المال لا يهمها، انما داخل الحقيبة اشياء صغيرة كانت ذكريات من غاري ذات اهمية كبيرة لديها.

راحت تصرخ قائلة:

ـ اعطني حقيبتي!

اكتشف الصبي المبلغ المتواضع داخل محفظة النقود، فغضب وقرر ازعاجها بالفعل ليفهم هذه السائحة عدم التظاهر مرة اخرى انها ثرية!

رددت تقول فاقدة صبرها:

ـ اعطني حقيبتي!

كانت على وشك الانفجار بالدموع عندما سمعت صوتاً يلفظ كلمات عربية قليلة. شعرت فيفيان بالذعر: لقد سبق ان سمعت هذه اللهجة... في المطار.

التفت الصبي الى الوراء، ثم ولى مسرعاً بعد ان رمى الحقيبة ارضاً. وكادت فيفيان ان تغيب عن الوعي عندما رأت ترانت يظهر في العتمة. انحنى يلم الحقيبة وقال بلهجة هادئة:

ـ هذه الحقيبة تخصك، على ما اظن.

تثاءبت وهي تحدق بنظراته المتقدة وقالت بتعلثم:

ـ انا... اشكرك.

امسك يدها وشد عليها حتى وصلا الى سيارة الليموزين. وتساءلت الفتاة بان الكازينو ربما يقع قريباً من هنا ولامت نفسها لأنها لم تعد الى كوديا باكراً.

عادوا الى المنزل في صمت عميق. عبدول يقود السيارة برصانة. اما ترانت الجالس قرب الفتاة في المقعد الخلفي فكان يبدو متوتراً للغاية. ولما وصلوا الى الفيلا، نزل صاحبها من السيارة برشاقة وتمنى للسائق ليلة سعيدة، ثم امسك بمعصم فيفيان المذعورة وشدها الى الداخل. ولما وصلا الى البهو صرخت الفتاة نائحة:

ـ الوقت متأخر... وانا متعبة.

شعرت بألم قوي في ذراعها وغصت. فقال لها:

ـ لكنك لم تكوني متعبة وانت تتنزهين في المدينة. علينا ان نتحدث في الحال.

دفعها الى غرفة المكتبة، فغضبت لهذه المعاملة السيئة والتفتت اليه بسرعة لتواجهه عندما اغلق الباب وراءه. اشعل ترانت سيكارة ثم قال بهدوء:

ـ انت تتدبرين امرك بسهولة، يا فيفيان. اعتقد انها ليست المرة الأولى تخرجين فيها في المساء من دون علم احد، اليس كذلك؟

رفعت ذقنها بفخر واجابت:

ـ بالفعل، لكنني كنت اجهل ان علي مراقبة!

ـ هل تحاولين التلميح بأنني عقبة امام حريتك؟ وماذا تفعلين بروبرت؟ الا يستحق بعض المراعاة؟

كانت الفتاة الانكليزية تعرف مشاعر ترانت تجاه اخيه. حالة

روبرت الصحية تؤلمها هي ايضاً وكثيراً جداً لكن ماذا يمكنها ان تفعل بهذا الخصوص؟

ـ انت ظالم وغير عادل! اضحي بكل وقتي من اجل روبرت ولا يمكنني ان افعل اكثر من ذلك.

ـ لا شك انك لم تقصدي المجيء الى المغرب. فقط للاهتمام بشاب معاق!

حاولت كل جهدها للمحافظة على هدوئها. كيف تتصرف لوسي في مثل هذه الظروف؟ لوسي العزيزة... لكانت كرست سهراتها في تركيب ازرار قمصان روبرت او تحاول قدر المستطاع ان تدخل الى غرفته في المساء جالبة الكتب والمشروبات المنعشة. لكن فيفيان ليست لوسي. فهي ليست واقعة في غرام روبرت. تحترمه. لكن قلبها لا يلهف الا لغاري...

ـ روبرت وانا معاً طوال النهار، وفي المساء يحتاج الى الراحة. انسيت ذلك؟

ـ يكون سعيداً اذا كان يعرف انك هنا، قريبة فهو لا يشك ابداً بأن شوارع طنجة تفتنك الى هذه الدرجة.

اجابت فيفيان ببرود:

ـ هل تعتقد ان هذه المدينة تؤثر بي تأثيراً معيناً؟ اخرج لأن ليس لدي ما افعله.

واقف هو يحدق بها بامعان.

ـ طبعاً. انت شابة وبصحة جيدة وبحاجة الى التسليات. ليس مفرحاً ان تقضي سهراتك وحيدة في غرفتك بينما ينام شاب مريض في جناح آخر من المنزل.

شحب وجه الفتاة الانكليزية امام هذه الشتيمة، ولمعت عيناها

غضباً. فاقتربت منه. كان ترانت بانتظار هذه الحركة. فأمسك بكتفيها في الوقت الذي كانت فيه ترفع يدها لتصفعه وتقول مختنقة:

ـ انت لا تنظر الي باحترام وتعتبرني فتاة فاسقة!

اجابها بابتسامة واضحة.

ـ اننا راشدان ونعرف الحياة، انت وانا.

وبينما كان يتكلم، كان يغمس اصابعه في جلد كتفيها تحت القميص الخفيف. ولم تكن فيفيان قادرة ان تزيح نظرها عنه لشدة ما كانت تشع منه قوة غريبة. ظلت فاقدة الصوت لوقت طويل محاولة التخلص من قبضته، ثم قالت:

ـ انت، انت صاحب كازينوا لست مرغماً على البقاء في المنزل وعد الدقائق ليحين الوقت لتذهب الى الفراش!

وافق في هدوء وقلق وقال:

ـ صحيح. لكن انا شقيق روبرت ولست بالفتاة التي وقع في غرامها حتى الجنون! لو تعرضت لحادث مثلاً، ماذا تكون ردة فعله، بنظرك؟.

ـ لماذا تريدني ان اتعرض لحادث ما؟ هذا المساء ارتكبت خطأ واضعت طريقي، فطلبت من صبي ان يدلني على الطريق الصحيح. لكن ذلك لم يكن سوى حادث لا اهمية له!

ـ معك حق! لا شك انك قادرة ان تتخلصي من المأزق تجاه مراهق صغير اراد ان يسلبك اموالك!

ارتعشت فيفيان، لم يسبق ان رأت ترانت غاضباً على هذا النحو. فجأة، رفع يده عنها وسحب من سيكارته قبل ان يعلن في سخرية:

ـ اتفقنا. صحيح انه من الصعب ان اطلب منك قضاء الامسيات داخل المنزل... لكن اذا شعرت بحاجة الى القيام بنزهة ما، فأنا لا

مانع لدي. لكنك لن تخرجي وحدك. يقودك عبدول الى المدينة ويرافقك الى حيث تشائين.

كيف تجد غاري اذا كانت برفقة الخادم؟

ـ انا ناضجة وقادرة ان اتنزه وحدي من دون حراسة!

اجاب بجفاف:

ـ توافقين على ذلك او تبقين في البيت. في حالة روبرت الصحية الحاضرة، اشعر بالمسؤولية تجاهك. ومراعاة له، سأفعل كل ما اراه صائباً، كي اتحاشى ان يحدث لك اي مكروه.

لم يعد هناك جدوى الاستمرار في النقاش. لكنها لم تكن تنوي الاستسلام لعرضه بسهولة. فقالت باستهزاء:

ـ لقد اعتدت ان تحكم بتسلط على اخيك. لكن ارجوك لا تحاول ان تفعل معي الشيء نفسه، يا ترانت. احب ان آخذ قراراتي بنفسي!

قال بلهجة متملقة:

ـ خلال اقامتك في كوديا، عليك ان تتخلي عن هذه الاستقلالية المترفة. اعني في المستقبل، بامكانك ان تفعلي ما تريدينه وما يحلو لك. فروبرت لن يتمتع بهذه الحرية!

راح ينظر مفصلاً الى شعر الفتاة المشعث وملامحها المشدودة ثم اضاف وهو يفتح الباب:

ـ اذا اردت ان تكوني في احسن حالاتك صباح الغد، انصحك باللجوء الى فراشك الآن.

ولما صعدت ڤيڤيان الى غرفتها، خرجت الى الشرفة تذرع ارضها ذهاباً اياباً حتى استعادت تنفسها الطبيعي. كادت ان تفسد كل شيء، هذا المساء، من اجل لوسي. لكن، من ناحية اخرى، لماذا

تصرف ترانت بغضب قوي؟ كانت تشعر دائماً انه من الخطورة مقاومة هذا الرجل الجبار. وقالت لنفسها انها لم تخطىء لهذا التقدير، وراحت تمسد كتفيها المتصلبتين.

وفي صباح اليوم التالي، استيقظت ڤيڤيان متأخرة وشعرت باحساس بالذنب نحو لوسي وروبرت. ارتدت ملابس جميلة ونزلت الى الطابق الأرضي.

كان الطقس رائعاً والأزهار بدت زاهية تحت السماء الزرقاء: الجرانيوم الوردي والسوسن الازرق والقرنفل المتعدد الالوان، جميع الازهار تعطر الجو بأريجها اللذيذ. اجتازت الشرفة بخطى خفيفة واقتربت من الشاب المعاق وطبعت قبلة ناعمة على خده واعلنت بانشراح قائلة:

ـ اسفة على تأخري. هذه الشمس الجميلة تجعلني كسولة وناعسة.

قال روبرت وهو يدير لها خده الثاني:

ـ عليك ان تنامي غالباً حتى الضحى!

فكرت بلوسي وقبلته من دون عجلة واذا بروبرت يضع يده تحت ذراعها ويقبل انفها بلطف ونعومة.

جلست امام الطاولة متحاشية نظرات ترانت وراحت تثرثر بمرح مادحة هذا النهار الرائع ورائحة زهر الليمون الطاغية.

سأل المريض ضيفته بينما كان يأكل برتقالة:

ـ هل علمت بالخبر الجديد؟ ينوي ترانت ان يزرع العشب الأخضر كي يصار الى امكانية اللعب بالكروكي (لعبة بالكرات الخشبية). بنظره كوديا لا تؤمن لنا التسليات كفاية.

رمقت ڤيڤيان ترانت بنظرة ثقيلة تحمل المعاني الخفية، ثم اجابت

مازحة:

ـ انها فكرة رائعة! هذا يسمح لك ان تغير عن هواية رمي الفتيات في الماء، يا روبرت!

قال ترانت ضاحكاً:

ـ هذا ما كنت اقصده. انا اعرفك تلعب دور البطل في حوض السباحة، لكنني اريد ان اراك تبذل جهداً في رفع الكرة تحت القناطر الصغيرة!

قال روبرت بابتسامة تهديد وهو يغمز اخاه بطرف عينيه:

ـ لست مبتدئاً، كما تظنين! رآني ترانت العب الكروكي في المستشفى!

قال ترانت وبريق فرح في عينيه:

ـ انه ماهر، احذرك.

وبقي الثلاثة يثرثرون على هذا المنوال وفيفيان تبذل جهدها لتحافظ على هذا الجو الجميل. صحيح انها لا تتفق مع صاحب المكان وان ابتسامته تخفي تناقضاً قوياً. لكن المهم في كل ذلك سعادة روبرت وحسب.

ومنذ ذلك اليوم بدأ العمال يزرعون العشب الاخضر بعد ان جرى بسط الارض كما يجب. ومن شرفتها كانت فيفيان تراقب الأعمال وابتسامة ساخرة على شفتيها. يكفي على صاحب المكان ان يفرقع باصابعه حتى يسرع الجميع اليه ويطيعونه . . . وذلك بفضل اموال الكازينو.

وبأقل من اسبوع اصبح العشب جاهزاً لممارسة رياضة الكروكي. كان المكان يقع على سفح مطل على الخليج ومناخه معتدل طوال السنة بسبب الرياح البحرية.

ومرت الأيام وترانت يستعمل سيارة روبرت الحمراء ليتوجه الى المدينة. وتبقى سيارة الليموزين السوداء مصفوفة كل مساء في المدخل وعبدول تحت تصرف الفتاة الانكليزية. في البداية لم تجرؤ الفتاة على مغادرة غرفتها. ثم بدأت تفكر: اذا لم تخرج، يظن ترانت في الحال انها كانت تخفي عليه امراً ما. كما كانت تريد البحث عن غاري حتى تجده. احياناً كانت تنظر الى نفسها بسخف وتقول بأنه بعد اربع سنوات ربما وجد غاري لنفسه امرأة تزوجها وانجب منها الأولاد. ثم تستعيد وعيها لتقول ان ذلك مستحيل. غاري ليس برجل يتزوج، ألم يردد ذلك على مسمعها في عدة مناسبات؟

وخلال اسبوع، تسلحت بالشجاعة وانذرت عبدول انها تنوي الخروج في المساء، بعد ذهاب ترانت.

سألها الخادم بعد ان جلست في المقعد الخلفي:

ـ اين بامكاني ان اقود الآنسة؟

ترددت قليلاً ثم قالت:

ـ احب ان اذهب الى ساحة والسوق الصغيرة قرب الجامع الكبير. اعرف هناك مقهى تعزف في داخله الموسيقى العربية. ولا شك سأجد المحلات فاتحة.

انحنى قليلاً وجلس امام مقود السيارة واقلع. في المدينة اوقف سيارته وانتظر على طرف الطريق حتى تقرر فيفيان اي طريق ستسلك. اعتادت الفتاة بسرعة على وجود عبدول. كان يرتدي جلابية من الكتان الرائع ويعتمر على رأسه طربوشاً احمر وينتعل بابوجاً ناعماً من الجلد الاصفر. كان وجوده مفيداً وخاصة لابعاد المتحرشين الوقحين العديدين بكلمات قليلة وقصيرة. كان الشحاذون والبائعون والوقحون يتعدون بسرعة.

والفتاة الانكليزية تبحث عن غاري، لكن برفقة عبدول. وهذا لم تكن مهمتها سهلة، لقد تلقى عبدول اوامره من ترانت، وحتى لو التقت بصديق بالصدفة، لما سلمت عليه باليد خوفاً من ان يشهر عبدول سكينه المزين بالحجارة الجميلة...

وبعد ان امضت سهرة او سهرتين برفقة السائق قررت ان تقوم بجولة تفتيش جديدة. عبدول يجهل انها تبحث عن شخص معين. اقترحت عليه ان يأخذها بنزهة في جادة باستور، بحجة انها تريد احتساء شراب منعش. فدخلت الى مقهى فندق رياض. وبينما كان عبدول يذرع ارض البهو ذهاباً اياباً، راحت فيفيان تتحدث مع مدير الاستقبالات. نعم، فهو يتذكر غاري، عازف السكسفون في الفرقة، لكنه لم يره منذ مدة طويلة ويعتقد انه وجد عملاً في ناد ليلي يقع ناحية المرفأ، اعطاها اسمه وعنوانه.

فرحت فيفيان اذ التقت اخيراً باحد يعرف غاري. وفي مساء اليوم التالي، توجهت نحو النادي المذكور حيث الجو يعبق بالعفونة ورائحة الدخان. اصحاب النادي يتذكرون غاري لكنهم لا يعرفون اين يوجد في الوقت الحاضر، فاعطوها عنواناً قديماً له لعله يفيدها بشيء.

استمرت في بحثها. كانت متفائلة في البداية، لكنها بدأت تتشاءم عندما لم تنل اي نتيجة. وذات مساء بعد عودتها الى كوديا، بعد منتصف الليل، شكرت عبدول وصعدت الى غرفتها وارتمت في مقعدها فاقدة الأمل والشجاعة.

هل هي قادرة على الاستسلام بقبول عدم رؤية غاري ابداً؟ نهضت الفتاة وخرجت الى الشرفة. القت نظرة سريعة الى الفيللا النائمة وارهفت السمع لدى دخول سيارة ساحة المنزل. في الواقع

انها تشعر بالقلق. هل عرف ترانت نواياها في بحثها الجريء؟ وهل عبدول رجل مجرد وكتوم كما يبدو عليه؟ وعندما يكون مع معلمه، هل يثرثر له مثل بقية الخدام؟

بدأ قلب فيفيان ينبض بسرعة. وادركت ان تصرفها هذا غريب جداً. وبدأت تقلق حيال فكرة واحدة: ماذا يعرف ترانت بالضبط؟

٤ ـ النزهة والشجار

كل نهار خميس يذهب روبرت الى المستشفى. هل يدرك هذا الشاب المعاق الخلاف الواقع بين ترانت وفيفيان؟ لكن خلال فطور الصباح، اقترح روبرت شيئاً غير منتظر، اذ بدأ يقول وهو يرمق اخاه الكبير بنظرة قلقة:

ـ لقد فكرت ملياً وادركت ان ضيفتنا تضيّع وقتها في كورديا بانتظاري. لماذا لا تأخذها ياترانت، في نزهة او شيء كهذا؟ بامكانك ان تضعني في المستشفى صباح اليوم كالعادة وتأتي في السادسة مساء لتأخذني!

سألها ترانت برصانة:

ـ ما رأيك بهذا، يا فيفيان؟

كانت الفتاة تشعر بالخوف والرغبة في آن واحد، لفكرة قضاء نهار كامل برفقة ترانت. وعرفت انها المناسبة الوحيدة لتظهر له انها لا تخاف منه. فأجابت موجهة الحديث الى روبرت:

ـ كم انت لطيف يا روبرت هذا الاقتراح!

اجابها روبرت ماسكاً يدها ومبتسماً بوفاء وشكر:

ـ ستشعرين بفرح لمغادرة هذا المنزل ـ ولمغادرتي ايضا ـ خلال بضع ساعات.

اخفضت فيفيان عينيها بخجل، ذلك ان روبرت يجهل كل شيء عن خروجها الليلي. تحاشت نظرات ترانت وبذلت جهداً كبيراً كي لا يعلو وجهها الاحمرار.

اختارت فيفيان فستاناً خفيفاً معرّقاً بالزهور الزرقاء وزينت وجهها بشكل خاص من دون ان تعرف سبب ذلك وتوجهت نحو السيارة. قادهم عبدول الى المستشفى فبقيت فيفيان في السيارة بينما حمل ترانت والخادم روبرت في الكرسي النقال ودفعاه حتى المدخل الرئيسي حيث كان في استقبالهم بعض الأطباء. راحت الفتاة تتأمل العشب الاخضر المعتنى به والزهور الفاتنة. سئمت الانتظار داخل السيارة، ففتحت الباب وخرجت متوجهة بخطى بطيئة نحو تلة صغيرة تطل على بستان زيتون ونخيل. كانت تتأمل المنظر عندما اقترب منها ترانت وقال وهو يمد لها يده لمساعدتها على النزول:

ـ آسف لتأخري، لكن الاطباء ارادوا التحدث معي اكثر من العادة.

نظرت اليه فيفيان بقلق. هل حالة روبرت الصحية بتدهور سريع؟ عماذا حدثه الاطباء؟ لم يبال لنظرتها لذلك لم تكن عندها الجرأة لتسأله عن هذا الامر.

ولما اقلعت سيارة الليموزين قال لها ترانت:

ـ اليوم يوجد سوق شعبي في السوق الكبير. وسيأخذنا عبدول الى هناك. اما بالنسبة الى فترة بعد الظهر، ما رأيك بنزهة الى تطوان؟

اجابت ببرود:

ـ كما تريد.

والغريب بالامر، انه عندما دخلا باب وباب الفاس، المؤدي الى السوق الكبير بدأت فيفيان تراجع رأيها في ترانت. هذا الرجل المتحفظ والبسيط والواثق من نفسه.

امسك ذراع الفتاة حتى وصلا الى ساحة السوق الشعبي. وهناك شاهدا بهدوء الخزف الصافي، والسلال والمداري، والشراشف المحاكة باليد ومختلف انواع الحرف اليدوية. وانجذبت فيفيان بصورة خاصة بالفلاحات الريفيات اللواتي يرتدين العباءات المقلمة بالابيض والاحمر، ويعتمرن القبعات الضخمة المصنوعة من القش المجدول والمزين بالشرابات. كن يجلسن تحت الاشجار ويبعن ازهار جبل المنشأ... الورد، والدليوث والسوسن والريقية...

وترانت يرافقها حيثما تذهب. يريها جلود الحيوانات وآلات الموسيقى والخزنات القديمة الجلدية المزينة بمسامير نحاسية. شعرت الفتاة الانكليزية بارتياح غريب واحست برغبة في الضحك وفجأة رأت دكاناً صغيرا يعرض الطيور المحنطة والحيات والتماسيح المجففة. فصرخت مستغربة:

ـ آه! لا يمكن التخيل انه في القرن العشرين ما زال بعض الناس يتعالجون صحياً بهذه الطريقة!

قال ترانت ضاحكاً:

ـ المساحيق السحرية والعقاقير السرّية ما زالت تجلب العديد من الناس.

وبينما كانا يتحدثان، خرج البائع من الدكان وقال بلغة انكليزية جيدة:

ـ هل تريدان ادوية؟ لا شك انكما تحتاجان الى شيء ما! لكن اسمحا لي في البداية ان ازودكما ببعض المعلومات. هذا النسر المجفف، مثلا يكفي ان يجرع قليلا من جلده مع قليل من الماء حتى يزيل الالام الناتجة عن الاحزان العاطفية. وهذه العظام هي عظام الثعلب. هل هناك رجل آخر يغازل حبيبتك؟ تأخذ اذن...

كانت فيفيان تصغي اليه وتشعر بالانزعاج. لكن ترانت قاطعه قائلا:

ـ انت لا تبيع اذن الا الشراب الذي يشفي مرض الحب ومشتقاته؟

ـ عندما يدخل رجل الى دكاني برفقة امرأة، استنتج ان الامر يتعلق بمشاكل الحب. هل ترى جلد حية الكوبرا المعلق هناك؟ بامكانك استئجاره لنهار واحد او اكثر. ضعها حول جبينك اذا كنت تشكو من الصداع، وحول عنقك اذا كنت تشكو من آلام في الحنجرة. له مفعول ايجابي مئة في المئة.

همس ترانت مازحاً:

ـ لا اشك لحظة واحدة بصحة كلامك!

احاط بذراعه كتفي فيفيان واضاف يقول:

ـ اشكرك على هذه المعلومات. والآن علينا الذهاب.

صرخ البائع وهو يراهما يغادران الدكان قائلا:

ـ انتظرا لحظة واحدة. كم ولد لديكما؟

اجاب ترانت برأسه ان لا ولد لديهما، فأضاف البائع قائلا:

- آه! في هذه الحال، انتما فعلا بحاجة الى خدماتي! عندي هنا جلد فهد...

قال ترانت:

- لنخرج يا فيفيان.

ولما اصبحا بعيدين عن الدكان، اطلق ترانت ضحكة مرحة. اما فيفيان فشعرت بارتياح لدخولها حدائق فندوبيا حيث الاشجار الدهرية وحدها عرفت مدى اضطرابها وشدة انفعالها.

تناولا الغداء في مطعم رائع يطلّ على البحر. صحيح ان فيفيان كانت تعتبر انها تعرف طنجة جيداً، لكنها لم تتأثر فعلا بسحر هذه المدينة وتألقها الاّ برفقة ترانت. ربما هذا السحر في داخلها يعود الى الشمس المشرقة والسماء الزرقاء والبحر الهادىء...

بعد الغداء اللذيذ، عادا الى حيث اوصلهما عبدول في الصباح. وشعرت الفتاة باندهاش وفرح لرؤية السيارة الحمراء السريعة، بدل الليموزين، فقالت ضاحكة:

- ألن نحتاج اذن لسائق بعد الآن؟

قال لها ترانت وهو يساعدها الى الصعود:

- بلى... انا!

غادرت السيارة طنجة متوجهة نحو الجبل وشعرت فيفيان بمزاج الثرثرة. خلال الغداء تحدثا عن الطعام والموسيقى والمناظر الخلابة. والآن سألته:

- هل عبدول رجل متزوج؟

- نعم. وزوجته تعيش في الجنوب، في زاغورا.

- هل تبعد زاغورا كثيراً عن طنجة. اظن انها تقع على الحدود الجنوبية، اليس كذلك؟

- نعم. هناك التقينا، عبدول وانا. كان في خدمة صديق قديم يدعى بيار. ولما عاد بيار الى فرنسا، جاء عبدول ليعمل لدي.

- وماذا كنت تفعل هناك؟

- كنت ضابطاً في احدى الشركات الصحراوية.

قالت فيفيان بفضول واندهاش:

- هل يعني انك كنت تعاشر قبائل البدو وتسكن في قصور من التراب الاحمر المبنية وسط الصحراء؟

- بالضبط. هل من الصعوبة ان تتصوري انني افرغ حذائي المليء بالرمل؟

- في هذه الملابس، كلا. لكن عندما اراك في المساء في بزة السموكينغ، لا يمكنني ان اقول حينذاك انك تتمتع بروح المغامرة.

ضحك وقال:

- عشت حياة متقلبة.

ادارت فيفيان رأسها نحو النافذة. ترانت يتمتع اذن بأكثر من وجه لشخصيته. لقد سافر واقام في اماكن نائية، وهذا يتناقض مع الحياة العصرية التي يعيشها الآن! اذن من هو ترانت كولبي الحقيقي؟

السيارة تسلك طريقاً غير معبدة ثم تدخل في شوارع تطوان الضيقة.

تنزها في الحيّ الاسباني القديم، وتناولا الشاي على شرفة احد المقاهي، ثم دخلا الى حيّ المدينة. وبعد ان اجتازا باب الرواح،

وصلا الى ساحة السوق الشعبي. الملابس المطرزة والزنانير المحيكة وجواهر الماس كلها تتلألأ تحت الشمس. وما ان شاهدت فيفيان دكانا على واجهته جلد حية مجففة حتى امسكت ترانت بذراعه من دون تفكير واخذته بعيداً. فسألها:

- الا ترغبين في معرفة الترويج الحديث في تطوان فيما يتعلق بشراب الحب؟

قهقها ضاحكين واكملا الطريق يداً بيد. وعلى تلة صغيرة وجدت الفتاة الانكليزية مكاناً منزوياً، فجلست على حافة الطريق واغمضت عينيها وراحت تتنشق روائح الشارع من السمك الطازج المشوي على الفحم الى السمك الطاجن... ثم شعرت بوجود رفيقها قربها. قدم لها سيكارة واشعل لنفسه سيكارة اخرى وقال:

- اجدك وقد سئمت من هذا البلد وانت فيه منذ مدة قصيرة.

لقد لاحظ ان لا شيء يدهش الفتاة. فابتسمت واجابت:

- يوجد لذلك سبب بسيط... لقد سبق وزرت هذا البلد من قبل.

لم يبد عليه الاندهاش وقال:

- بالنسبة لابنة مزارع، هذا أمر غريب!

ادارت رأسها نحو البحر، فلا تريد ان تفكر بلوسي. ليس الآن على الاقل. قالت في تعبير حالم:

- اتذكر مدينة فاس الوردية تحت ضوء القمر... والجديدة، والجامع والقصر الابيض...

- متى جئت الى هنا؟

- منذ اربع سنوات.

وتساءلت: اين كان ترانت ياترى منذ اربع سنوات؟ هل كان يقطع الصحراء على ظهر الجمل؟ او كان يخطط في المجيء الى طنجة؟

- الم تشعري من ثم برغبة في العودة الى المغرب؟

- كلا.

- هذا أمر غريب! يقال انه متى زار المرء هذه البلاد مرّة، يرغب في ان يكرر ذلك مراراً...

- ربما انت على حق! انا في المغرب من جديد، اليس كذلك؟

اخفض عينيه يسحب من سيكارته وبعبوس حالم قال:

- اتذكر يوم وصولك الى المطار. من تعبير وجهك البارد، أرعبت كل من حاول التحرش بك وكنت قادرة على التخلص منهم بسهولة حتى بدون ان اتدخل في الامر.

تأملها طويلاً، ثم اضاف يقول:

- انت فتاة غامضة. منذ ان رأيتك واشعر انك تخفين سراً كبيراً. ماذا جرى لك قبل اربع سنوات؟

انتفض قلب فيفيان، فتصنعت عدم الانتباه وقالت ضاحكة:

- لماذا تعتبر انني اخبىء شيئاً؟ لماذا لا تعتبر انني كنت ارغب في السفر ببساطة؟

- يبدو لي انك قمت بمغامرات كثيرة.

قالت بمزاح لتخفي ارتجافها الداخلي:

- لا اجرؤ ان اسألك عن عدد مغامراتك حتى الآن!

- بالنسبة الى الرجال، الامر مختلف كلياً. لا نحمل نحن الجروحات مثلكن، انتن النساء.

ـ ذلك لأن الرجال يعطون القليل من انفسهم!
ـ لست مستعداً لأبرهن عن ذلك.
كان قريباً جداً منها. شعرت بأنها ستقع في الفخ، لكنها وجدت القوة لتقول:
ـ لم يسبق ان غازلت امرأة بالمراسلة، أليس هذا ما سبق وقلت لي؟
ـ نعم واضفت قائلا بأن الحب بالمراسلة لا يكفي، حتى لك.
ـ لكنني كنت محظوظة، اذ التقيت بمراسلي شخصياً.
ـ صحيح؟
كان يحدق بها بعينيه الزرقاوين، لكن سحره اختفى. وبعد قليل، رمى سيكارته وراء الجدار ونهض واقفاً، واضعاً يديه في جيبيه وتابع يقول:
ـ منذ اربع سنوات، كان روبرت شاباً نشيطاً، امنيته الوحيدة ان يصبح لاعب روكبي محترفاً. آه لو تعرفت اليه في ذلك الوقت! كان قادراً ان يتغلّب على كل منافسيه. ظلّ يلعب حتى السنة الفائتة، اي منذ ان اصيب بهذا المرض.
ـ لا شك انها صدمة قوية عليه!
ـ في البداية اعتقد ان الامر حمى قوية. ولما لم تتحسن حاله... لا شك ان روبرت اخبرك كل التفاصيل في رسائله!
اسرعت في القول:
ـ نعم، بالطبع. لكن احب... ان اسمع ذلك من اخيه الكبير...
نهضت واقفة لتبدو كلماتها صادقة. اقترب ترانت منها وراح ينظر مطولا الى وجهها الغريب وشعرها المشعث، ثم ابتسم وقال بصوت

جاف:
ـ يمكن احياناً للأخ الكبير ان يقدم تشجيعاً معيناً.
نظر ترانت الى ساعة يده وامسك بذراع فيفيان وقال:
ـ حان الوقت كي تعود الى المستشفى.
وفي طريق العودة الى كوديا، لم ينطق ترانت بكلمة مع فيفيان. وبالرغم من شحوب وجه روبرت كان مزاجه بشوشا قـال:
ـ هل قضيتما نهاراً جميلا؟
اجاب ترانت قائلا:
ـ كان نهاراً رائعاً!
وقالت فيفيان:
ـ رائع جداً! في الصباح زرنا السوق الشعبية. ثم تناولنا الغداء في مطعم فاخر واخيراً ذهبنا الى تطوان.
ـ عظيم! انا سعيد ان اخي وصديقتي متفقان. يجب ان تستمرا في الخروج معاً.
قال ترانت:
ـ لدي مؤسسة عليّ ان اديرها، يا روبرت، لا تنسى ذلك! لم اجد محاسباً يحاسب على طريقتي!
قالت فيفيان لتغير الحديث:
ـ كان عليّ ان استفيد من هذا النهار لأكتب الرسائل... آه، انظر الى هذا البساط من الزهر الوردي تحت هذه الشجرة!
ترانت وفيفيان اصبحا عدوين من جديد. وخلال بقية الاسبوع بالكاد تبادلا الحديث. كان ترانت يحاول ان يتحاشى الفتاة التي لم تكن غاضبة ابداً لأنه في الواقع، ليس بينهما امور مشتركة. وفرحت

فيفيان انها عادت تشعر من جديد بعدم استلطافها لترانت كلما فكرت فيه.

لم يتشاجرا وفي الظاهر لا شيء تغيّر. امام المريض يتصرّف ترانت بلطف ومزاح من دون توقف. وعندما يكون وحده مع الفتاة الانكليزية، يبدو لامبالياً بها الى درجة متناهية.

اصبح روبرت متعلقاً اكثر فاكثر بالفتاة. كانا يمضيان اوقاتاً طويلة معاً في حديقة الفيللا. وبسبب عدم قدرته على الحركة اكتشف روبرت شغفاً قوياً لديه تجاه الطبيعة وبدأ يتجذب نحو الشعراء اللذين عرفوا كيف يصفونها بقصائدهم. رسائله الى لوسي كانت مليئة بابيات الشعر وكانت فيفيان تجد صعوبة كبرى عندما تحاول ان تجاريه. وفي احد الايام عندما كانا في الحديقة قال روبرت وهو ينظر الى الخليج البعيد:

- لم يسبق ان ذهبت الى جزيرة من قبل، رأيت البحر وسافرت فيه، لكنني اجهل اي احساس يشعر به الانسان عندما يكون محاطاً بالماء.

نظرت فيفيان الى شعره الاشقر كالقمح، وكتفيه العريضتين وراحت تتحسر في داخلها على هذا الشاب الضائع. فجأة، راح رفيقها يلقي قصيدته بصوت مرتفع:

- شجر الصفصاف تصفر اوراقه، والحور يرتعش، والنسيم العليل يرعش الموجة التي تسيل الى الابد قرب الجزيرة. في النهر...

لو كانت لوسي مكانها لعرفت ماذا ترد عليه، اذ كانت تحب الشعراء والطبيعة. لكن فيفيان، كانت ضائعة وقالت:

- لمن هذه الابيات؟ اصابتني الرعشة!

ادار رأسه ببطء وشعر بخيبة الامل لأنها لم تكن قادرة ان ترد

عليه.

فقال شارحاً:

- جزيرة شالوت. حالة شالوت امرأة شريرة. وجدت باخرة وغادرت الجزيرة. حلت السلسلة وتمددت.. وجرفها النهر من بعيد... وراحت تبحث عن فارس احلامها. حتى تجمد دمها ببطء وعتمت عيناها الى الابد.

امسك يد فيفيان وهمس قائلا:

- لكن انت يا فيفيان انت حيّة، انت جميلة. عانقيني يا فيفيان...

جذبها اليه بعنف وشغف. ووجدت الفتاة صعوبة في التغلب على الشعور بالنفور الذي اصابها وذلك لأن هذه الخدعة الكاذبة بدأت تشمئز منها ووجدت عند صاحبها حاجة واضطراماً اوعياها.

ولما عادا الى حوض السباحة، رمقهما ترانت بنظرة غامضة وعاد يتابع عمله الحسابي. شعرت الفتاة الانكليزية بارتياح لوجودها على الشرفة. بدأت تجد صعوبة كبيرة لمواجهة متطلبات روبرت الغرامية.

وبدلا من الانزعاج من رفقة رب المنزل، كانت تجد الآن بحضوره نوعاً من الارتياح والطمأنينة.

وتعويضاً لبرودها تجاه روبرت ارتدت فيفيان بعد الظهر بزة السباحة التي وضعتها لوسي في حقيبتها. انها بزة مؤلفة من قطعتين نحيفتين تدعو للاثارة لكنها نالت اعجاباً كبيراً لدى روبرت الذي اظهر اعجابه بالبزة باطلاق صفير ابتهاج.

قالت ضاحكة:

- بشرتي بيضاء في بعض الامكنة! سأضطر ان ابدأ من جديد

باخذ حمامات شمس!

اقترح عليها روبرت قائلا:

ـ ناوليني المسحوق الواقي كي اضعه على جسمك وادلكه باعتناء خاص!

لم يكن لديها الاختيار بالرفض او بالقبول. اطاعته بفرح... وتمددت تاركة روبرت يدهن ظهرها من دون ان تلتفت الى برانت. ثم راحا بعد ذلك يسبحان واصبح باستطاعتهما ان يتكلما مع هارون بالعربية... كانوا يشكلون ثلاثياً مرحاً. في ذلك اليوم، كان صراخهم وضحكاتهم ترن صداها في حدائق كوديا. وفي آخر بعد الظهر، ذهب روبرت كعادته الى جناحه الخاص بعد ان طبع قبلة على خد فيفيان وتمنى لها ليلة سعيدة. وبعد ان تأكدت من ذهابه وضعت مئزر الحمام فوق بزة السباحة وذهبت كعادتها الى الحديقة في نزهة صغيرة للتخلص مؤقتاً من اعباء المسؤولية الواقعة عليها. لكن في ذلك اليوم، لم تعرف فيفيان هذه الراحة اذ رأت بعد دقائق قليلة ترانت يدخل الحديقة بحثاً عنها. كان تعبير وجهه قاسياً...

الطقس كان شديد الحرارة وترانت ارتدى سروالاً من الكتان الخفيف وقميصاً بنياً تظهر هيئته الرجولية القوية. توقف تحت ظل شجرة النخيل حيث اطل على منظر رائع للمروج وقال لها:

ـ قلت لي في المرة الماضية انك جئت الى طنجة من قبل. لا شك انك زرت الشواطىء المغربية، اليس كذلك؟

ـ اعشق الشمس! هل هناك مانع؟

ـ لا ابداً! شرط ان ترتدي الملابس المحتشمة!

راحت الفتاة الانكليزية ترتجف وتقول:

ـ اذا انزعجت من بزة السباحة، لماذا لا تقول ذلك بوضوح؟ الم

تكن تريدني ان افرح اخاك؟

ـ بلى، لكنك غير مضطرة ان تظهري بمظهر غير محتشم!

احمرت فيفيان بعنف وقالت:

ـ لماذا تحاول تقليل قيمة كل شيء يصدر عني؟ ارتديت بزة السباحة تلك، فقط من اجل روبرت. في كل حال، هذه البزة كانت محتشمة.

ـ انها مسألة رأي!

نظر ترانت الى جسم الفتاة الذي لوحته الشمس، ثم ازاح نظره بسرعة واضاف فجأة:

ـ لا يوجد هنا غير روبرت؟ هل نسيت هارون؟

ـ هارون! يجب ان اكون سمينة ومجعدة كي يهتم بي!

اجابها باحتقار:

ـ جميع الرجال يهتمون بالامر! انا رجل واعرف جيداً كيف يفكر الرجال.

ـ هل صحيح هذا الكلام؟ تصورت انك تعشق الارقام فقط!

احمر وجه صاحب المكان ورمقها بنظرة باردة وخطرة وقال:

ـ انت تسيئين فهمي، يافيفيان انصحك، من اجل صالحك، ان تصعدي الى غرفتك وترتدي ملابسك.

ـ لا تخف، سافعل ذلك. من الآن فصاعداً سأرتدي بزة السباحة القديمة حتى تصبح بالية وممزقة... وهذا عما قريب!

ـ سأوصي لك بدزينة منها.

ـ المال! لا تنطق الا بالمال!

- هل تعرفين شيئا افضل من ذلك؟

- دعني آخذ وقتي في التفكير وسأجد لك جواباً بالتأكيد!

ركضت نحو المنزل ولما وصلت الى غرفتها كان قلبها يخفق بسرعة جنونية وعيناها تتلألآن دمعاً. ارتمت على سريرها واطلقت زفرة عميقة. لماذا ترهقها المشاجرة مع ترانت الى هذه الدرجة؟

٥ - الطاولات الخضراء

وفي ذلك المساء، كان صعباً جداً عليها ان تتحمل فترة العشاء. كم تمنت فيفيان ان تتحلى بالجرأة لتبقى في غرفتها!

انها تتساءل احياناً اذا كان سبب توترها عائداً الى حالة روبرت الصحية. منذ فترة وجيزة وحالته تزداد سوءاً، فكان يشعر بالتعب والارهاق باكراً كل مساء، وبشرته اصبحت رمادية شاحب الخدين هزيلاً. هل لاحظ ترانت هذا التغير الواضح لدى اخيه؟

يوم الجمعة، اي بعد زيارة روبرت الاسبوعية الى المستشفى، حدث شيء كانت تخشاه فيفيان منذ وقت طويل. فما ان انتهى من فطور الصباح حتى دفعت فيفيان الكرسي النقال نحو الزاوية المفضلة لروبرت وراحت تتحدث معه بشتى الامور وتنظر الى البواخر الراسية

في المرفأ. لكن المريض كان ساهياً.

وبعد قليل، امسك بيد رفيقته وقال:

ـ فيفيان، لو كنا تشبه بقية الازواج! لكنا استأجرنا حجرة في احدى السفن وذهبنا في جولة حول العالم!

ـ لا بأس بنا في الوقت الحاضر! اننا نتمتع بمنظر رائع...

جذبها اليه وفي عينيه رغبة حارقة وقال:

ـ انت تفهمينني جيداً. اريدك قربي، بين ذراعي... آه لماذا انا مسمر على هذا الكرسي؟

ارتعبت عندما رأته يتقدم منها ويبذل جهداً قوياً ليجلس على المقعد قربها. تساءلت: ما العمل كي لا تدعه يشعر بالألم؟ فجأة ارتعد وانهار على قدميها مثل كتلة جامدة.

اطلقت فيفيان صرخة مخنوقة وراحت تركض مسرعة وتنادي ترانت. وكل ما تتذكره انها هبطت الممر مسرعة فارتطمت بصاحب المكان. كان وجهها مليئاً بالدمع، فارتمت بين ذراعيه وبصوت متقطع اخبرته ما حدث فشحب وجهه وامر عبدول الذي كان يتبعه قائلاً:

ـ رافق الآنسة الى غرفتها واهتم بها!

ثم اسرع نحو اخيه.

امضت فيفيان وقتها في الانتظار. ومن نافذة غرفتها كانت ترى الاطباء يصلون ثم يرحلون مع قضاء فترة من الوقت بدت لها كأنها ابدية. كانت تذرع ارض الغرفة ذهاباً اياباً، على وشك الانهيار في اي لحظة، اذ كانت تعاني من قلق وضغط نفسي. اخيراً لم تعد قادرة على تحمل هذا الانتظار اللامتناهي ففتحت باب غرفتها للخروج والبحث عن اخبار جديدة. وفي تلك اللحظة، ظهر ترانت. بحثت

في وجهه عن جواب لقلقها. بدا متعباً وابتسامة خفيفة ظهرت على شفتيه.

اطلقت الفتاة زفرة ارتياح فأعلن ترانت قائلاً:

ـ اصيب بضعف، لكنه سيتحسن بعد بضعة ايام. سيكون بحاجة الى عناية كبيرة خلال بعض الوقت...

قاطعته قائلة:

ـ سأتكفل بالأمر. صحيح ان هارون رجل فعال، لكن روبرت يكون مسروراً اذا كنت قربه، فيما اذا اضطر البقاء داخل غرفته.

ـ اذا انت قادرة على القيام بذلك، لا مانع لدي، بالعكس. في كل حال، يريد ان يحدثك. وبعد الغداء سآخذك الى غرفته.

وبالفعل عبر ترانت وفيفيان الممر باتجاه الجناح الآخر للفيلا. ثم اخذا المصعد المجهز خصيصاً لاستيعاب الكرسي النقال وصعدا الى جناح روبرت حيث النوافذ تطل على الجبل وعلى المدينة وعلى البحر.

كان المريض ممدداً في سريره، مسندا رأسه على الوسائد. كان شديد الشحوب. ولما رأى فيفيان قال في ابتسامة صغيرة:

ـ صباح الخير! هل اخفتك، يا فيفيان؟

ـ نعم لكن المهم ان تكون الآن بصحة جيدة.

ـ كيف يغمى علي في الوقت الذي كنا سنتصل فيه الى امور جدية!

قالت فيفيان وهي تعي وجود ترانت قربها:

ـ لننتهي من هذه الحماقات في الوقت الحاضر! انا سأعطيك دواءك وطعامك. ولا جدوى ان تصنع فقدان القابلية!

لم تجد المهمة سهلة فمنذ ان فقد روبرت وعيه اصبح متعلقاً بها

كثيراً وعليها ان تصرف طاقة كبرى لتفرحه. فكانت تمضي فترات
الصباح قرب سريره، وتتركه وحده في فترات بعد الظهر كي يأخذ
قسطاً من النوم ويرتاح. ثم تعود في المساء لتقرأ له وتلعب معه
الورق. احياناً يتناولان العشاء برفقة ترانت في غرفة روبرت.
حينذاك كان معين يجلب الطاولة الكبيرة ويضعها تحت النافذة
ويغلفها بالشراشف واواني الكريستال والفضية. وكان الطاهي يحضر
المازة المفضلة للمريض. وبينما كان الثلاثة يتناولون العشاء كانت
فيفيان ترمق ترانت احياناً بنظرة جانبية. هذا الرجل الذي يرتدي بزة
السموكينغ، على استعداد للذهاب الى الكازينو ليجلب اموال
اللاعبين، كيف يمكن لرجل كهذا ان يتمتع بصفات متغايرة الى هذه
الدرجة؟ انه حنون ولص! بالكاد يوجه اليها الحديث لكن امام
روبرت كانا يصطنعان التفاهم التام.

وذات مساء، بعد العشاء، كان صاحب المكان يستعد للذهاب
الى الكازينو كعادته وروبرت اوى الى فراشه. فقال ترانت.

- نم جيداً وقريباً بامكانك العودة الى حوض السباحة.
- سألعب الورق مع فيفيان ثم انام.
- تصبحين على خير، يا فيفيان. ولا تدعي اخي يخسر الكثير من
المال.
- نلعب من اجل التسلية وليس من اجل المال. وعكس زبائنك،
ليس لدينا ما نخسره.

وبعد ان ذهب ترانت، سألها روبرت:

- انت لا تحبين ترانت، اليس كذلك؟
- عواطفي تجاهه لا اهمية لها. انه اخوك وحسب.
- انت مخطئة تجاهه.

قالت بصوت مرتجف:

- لا تعجبني طريقته في كسب العيش.
- في كل حال، تظهرين له ذلك تماماً! تعالي واجلسي قربي.

جلست بقربه بعد ان وضعت ورق اللعب جانباً. فبدأ روبرت
يقول بنظرة حالمة:

- كان عمري سنتين عندما قتل والدي في الكونغو. والمال الذي
ورثناه بالكاد يكفي كي يكمل اخي ترانت دروسه. كان في السادسة
عشرة من عمره. وكان يهتم بي ويعيلني. لا اتذكر من طفولتي سوى
انه كان دائماً موجوداً عندما كنت بحاجة اليه. ولما اصبحت في سن
المراهقة، كنت ارغب في ان اصبح لاعب روكبي. لم يكن متحمساً
لاختياري، لكنه فعل كل جهده لمساعدتي. وبالرغم من كثرة
اعماله، كان يتنقل مسافات كبيرة ليراني العب في المباريات المهمة.
ولما اصبت بهذا المرض، ارغمني على استشارة كبار الاطباء
الاخصائيين آملاً ان اشفى نهائياً. كانت مهمة خاسرة ولم يشأ ان
يسمع من احد بل ظل يلح على استشارة العديد من الاطباء.

انعقدت حنجرة الفتاة وشدت على يده ليكمل حديثه. فأضاف
يقول:

- وذات يوم، اخبره احد اصدقائه عن طبيبين فرنسيين يعيشان في
طنجة ويقومان بابحاث طبية حول مرضي، الذي يدعى باسم لا
استطيع لفظه. فتوجه ترانت في الحال الى طنجة، واشترى كوديا واتى
بالخدم. ثم انه يصرف اموالاً كثيرة اجرة الاطباء وارسالي كل اسبوع
الى المستشفى.
- انت تستحق كل اهتمام وعناية، يا روبرت... كل هذا الترف
في الاثاث يزعجني لانه يأتي من المقامرة. لكن هذا لا يعني انه...

هز روبرت رأسه وقال:

ـ اسمعيني جيداً. عمل ترانت في مهن عديدة في حياته. . . كان مستكشفاً، ومترجماً ومفتشاً وجندياً. هذا يدهشك، اليس كذلك؟ والدي كان رجل اعمال له خبرة كبيرة ودراية اكبر واخي ورث ذلك عنه. لقد استثمر ترانت امواله في النفط وفي النحاس والآن اصبح رجلاً ثرياً.

قالت فيفيان مندهشة:

ـ آه! لكن. . . الكازينو. . . ؟

ـ دعيني اكمل حديثي. كنا في انكلترا واصبت هناك بالمرض. وكي يكرس لي كل وقته، باع ترانت كل فوائده في المؤسسات المختلفة. ولما وصلنا الى طنجة، بحث عن انشاء مؤسسة تسمح له باوقات فراغ كبيرة. لذلك اشترى الكازينو كي يعمل في المساء عندما اكون نائماً وليقضي نهاراته برفقتي. آه، انه يربح اموالاً طائلة، طبعاً! لكن هذا تكوينه. . . لن تكملي اللعب في الورق، يا فيفيان. انا متعب ويجب ان استريح حتى اتمكن من النزول الى حوض السباحة في اقرب وقت ممكن.

قبلته الفتاة الانكليزية وتوجهت بعد ذلك الى غرفتها، مضطربة لما سمعته عن ترانت. كان من المفروض ان تشك بالأمر! هذا المنزل، هذا الاثاث القديم، هذا الترف، لا يحمل بصمات ترانت. . . .

والآن عندما تناولت فيفيان العشاء برفقة ترانت، كانت تشعر بالانزعاج، ذلك لأنها لم تعد تشعر تجاهه بالنفور والبغض بعد الحديث مع روبرت. اصبحت سريعة التأثر والانفعال بعد الحادث الذي تعرض اليه روبرت. وباتت ترفض الاقتناع بأنه رجل بعمر الشباب، وسيم وذكي يمكن ان يصاب بمرض لا شفاء له. لذلك

فعلت كل ما في استطاعتها كي يستعيد المريض شيئاً من نشاطه وعافيته. ونحفت الفتاة الانكليزية وبدت عيناها مجوفتين ووجهها شاحباً وملامحها مشدودة.

عاد روبرت الى حياته الطبيعية، يمضي فترات النهار في حوض السباحة يصرف كل طاقته في الماء. وعادت فيفيان تتناول العشاء برفقة ترانت قبل ان يتوجه هذا الاخير الى الكازينو. وذات مساء وبينما كانت الفتاة تأكل من دون شهية اعلن صاحب المكان قائلاً:

ـ انت بحاجة للتسلية، يا فيفيان. روبرت يقضي الآن ليلة هادئة ولم يعد بحاجة اليك طيلة الوقت. . .

وكالعادة توجه نحو النافذة المطلة على المدينة المضاءة وكانت فيفيان ترتدي قميصاً ابيض وتنورة سوداء، ومن اذنيها تتدلى لآلىء لامعة.

اضاف ترانت يقول:

ـ السيارة تحت تصرفك. لم تحتاجي الى خدمات عبدول في هذه الأيام الاخيرة، اليس كذلك؟

اجابت بسرعة:

ـ لقد زرت جميع الاماكن. حتى طنجة لها حدودها بالنسبة الى سائحة مثلي.

ـ لكنك لست سائحة.

ـ لكن كما تقول، انا بحاجة للتسلية فاذا ذهبت الى مكان انيق، سيلاحظ الناس وجود عبدول. . .

سحب من سيكارته في تعبير حالم وهو يتأمل المنظر امامه. واستفادت فيفيان من وقفته هذه لتتأمله وتراقب حركاته. انها تعرف جيداً كيف يحني كتفيه عندما يريد ان يشرح لها شيئاً. . . وتعرف

ايضاً عادته الغريبة في اطفاء السيكارة . . . وابتسامته المتعالية. هذا الرجل يفرض الاحترام!

التفت فجأة الى الوراء مقاطعاً حبل افكارها وقال:

ـ اعرف مكاناً بامكانك الذهاب اليه من دون ان يتدخل بك احد.

رفعت حاجبيها غير مصدقة وقالت:

ـ في طنجة.

ابتسم بسخرية وقال:

ـ نعم. لماذا لا تأتين الى «المقهى الانكليزي»؟ بامكانك ان تحتسي ما تريدينه، وان تتجولي في صالة اللعب . . .

قالت في صدمة واستغراب:

ـ في الكازينو!

بالفعل، ليس اقتراحه فكرة سيئة ما دامت بحاجة الى الابتعاد قليلاً عن كوديا.

ـ طيب . . . سيكون ذلك تجربة . . .

ـ تقولين اذن لعبدول ان يأتي بك الى الكازينو في حوالى العاشرة والنصف.

وبينما كان يستعد للخروج، سألته فيفيان:

ـ كيف يجب ان يكون منظري؟ اعني ماذا يجب ان ارتدي؟

نظر اليها مفصلاً، من رأسها حتى قدميها ثم قال:

ـ انت عال هكذا. لكن خذي معطفاً، ربما تعودين متأخرة . . .

بعد ذهابه بدأ قلب الفتاة يخفق بقوة. لم يخطر ببالها انه سيأتي يوم تلتقي فيه بترانت في مكان كان يوحي لها في الماضي بكراهية كبيرة!

بقي عليها ان تنتظر نصف ساعة قبل موعد الذهاب. في غرفتها

راحت تزين وجهها وتسرح شعرها. ثم انتعلت حذاء السهرة وحملت حقيبة صغيرة من المخمل الأسود وارتدت شالاً واسعاً. اخيراً جاء موعد النزول، فسيارة الليموزين متوقفة امام الباب.

ولما وصلا الى المدينة، اوقف عبدول السيارة ورافق الفتاة الى داخل «المقهى الانكليزي». راحت فيفيان تنظر حولها. الوصف الذي رسمه روبرت للمكان كان مطابقاً للواقع. على الجدران علقت اقفاص من الحديد المصقول وفي داخلها تثرثر طيور الببغاء. بعض الزبائن الاوروبيين يلعبون الشطرنج.

جاء ترانت لاستقبالها وهمس قائلاً لها وهو يتأبط ذراعها:

ـ لا تكوني عصبية المزاج. اعدك انني لن اسلمك لمخالب الشيطان! تعالي سآخذك في جولة حول المكان.

تركها عبدول واصطحب ترانت ضيفته نحو غرفة مزينة بأحواض زرعت بالنخيل. جدرانها مصنوعة من البلاط والفسيفساء. ثم اجتازا سلسلة من القناطر ودخلا الى غرفة اللعب. حول الطاولات الجمع مؤلف من خليط لجنسيات متعددة . . . الرجال الانيقون بملابس السهرة، الضباط التابعون للجيش المغربي وضعوا على رؤوسهم عمامات، الشباب يرتدين الموضة الهيبة، النساء انيقات، والسيدات المسنات من الطبقة الرفيعة يرتدين المخمل، والعرب باللباس الشرقي والطربوش الأحمر.

كانت الفتاة الانكليزية تنظر بامعان حولها. فهمس ترانت في اذنها:

ـ بعد قليل، سأعطيك بضعة فيش لتلعبي بالورق او بالروليت. اولاً سنأخذ كأساً.

في آخر البهو يقع مكتب ترانت وهو كناية عن غرفة واسعة لا

نوافذ فيها، جدرانها سوداء مبطنة واثاثها مؤلف من طاولة مزينة بالمسامير المذهبة، ومقاعد سوداء وذهبية ومكتبة. الديكور هنا يختلف كلياً عن بقية الكازينو. تناول ترانت زجاجة عن الرف وملأ كأسين وقدم واحدة لضيفته ثم اسند ظهره على الطاولة وقال مازحاً:

- بماذا تشعرين في «قصر الخطيئة»؟

- بامكانك دائماً ان تسخر مني، لكنني مصرة على القول بأن الميسر ما كان يجب ان يكون له اي وجود.

- ما زلت تفكرين وكأنك ابنة العصر الذي ولى، حيث كانت الثروات تربح وتخسر في ليلة واحدة! الذهنية تغيرت كلياً. معظم الاشخاص المرتاحين مادياً لا يبذرون اموالهم بسهولة. صحيح ان هناك دائماً من يلعب باستمرار، اي اولئك الذين يجدون متعة مرضية في الخسارة. لكن هؤلاء اذا لم يأتوا الى هنا، فسيذهبون الى كازينو اخر ذلك لأن القمار اصبح بدمهم.

- الرجال يتمتعون بفن تحويل النقاش الى صالحهم!

- هذا امر طبيعي، اننا نمارس ذلك منذ الولادة.

فجأة سمع طرق على الباب ودخل رجل في سن متقدمة يرتدي بزة زرقاء فقدمه ترانت لفيفيان قائلاً:

- اندريه، مدير اللعب.

- سيدتي.

انحنى امام فيفيان ثم التفت الى ترانت ليقول له بضع كلمات بصوت خافت. فتوجه هذا الاخير نحو المكتبة وشاهدت فيفيان وراء احدى الرفوف المليئة بالكتب، خزنة سميكة. فتحها وعد اوراقاً مالية مغرية وقدمها الى اندريه الذي خرج من المكتب شاكراً. فقال ترانت شارحاً.

- بامكان اللاعب ان يربح الى درجة ان الكازينو يصبح مضطراً الى اعلان افلاسه. فالكازينو لا يربح دائماً. والآن سأذهب لأقوم بجولة حول زبائني.

لكنه جلس امام مكتبه وكتب شيئاً ما على ورقة وقال لها:

- خذي هذه القسيمة الى الصندوق واسحبي المبلغ الذي تريدينه. وعندما تشعرين برغبة في العودة الى كوديا، اعلميني بالأمر، فسيوصلك عبدول كالمعتاد.

ورافقها الى صالة اللعب. لم تتوجه الى الصندوق لتصرف القسيمة، ذلك لأن المال لا يهمها. انما راحت تراقب حولها باهتمام وتتأمل وجوه اللاعبين. فلاحظت ان عبدول يمر سرياً بين الزبائن، لا شك ان مهمته المراقبة الشديدة لاكتشاف الغشاشين مثيري الفتنة. وكانت هذه المهنة تليق به تماماً.

قامت بجولة استطلاع مدة ساعة تقريباً وكانت على استعداد للبحث عن ترانت لتعلمه برغبتها في العودة الى المنزل، عندما اصيبت فجأة باندهاش سمرها مكانها.

بين اللاعبين لاحظت رجلاً يحدق باوراقه بامعان. ارتفع الدم الى رأسها وكادت ان تصاب بألم... غاري! انه غاري! وفرح قلبها وراحت تنظر بسرعة حولها خشية ان يكون قد اكتشف احد فرحها وابتهاجها. لكن لا شيء تغير داخل الصالة. انها وحدها متألقة مثل قوس القزح. لو يرفع رأسه وينظر اليها لتضحك لاندهاشه! لكن غاري ما زال يحدق باوراقه ويسمع صوت مدير اللعب يقول:

- العبوا!

اقتربت فيفيان منه، لكنه لم يتحرك. انتظرت قليلاً ثم لم تعد تصبر، فشدته على كمه وقالت بخجل:

- مساء الخير، يا غاري. من زمان بعيد...
نظر اليها فترة قصيرة محاولاً التعرف اليها. اخيراً قال وهو يتفحص اوراقه:
- فيفيان، اليس كذلك؟
قالت محاولة التغلب على خيبة املها:
- يا لشدة فرحي، فما زلت تتذكر اسمي.
لم يكن يصغي اليها، بل كان يركز انتباهه على الطاولة، كيفية اللاعبين. لكن فيفيان اضافت تقول:
- لقد مشطت طنجة من اولها الى اخرها محاولة البحث عنك.
لكن غاري يستمر في الخسارة. ورمق صديقته بنظرة سريعة وقال بصوت غاضب:
- ليس الوقت المناسب لهذا الكلام! الا ترين انني مشغول؟
لم يتسن لفيفيان الوقت ان تقوم بردة فعل حيال كلماته، اذ رأت ترانت يتقدم منها. فقالت وفي عينيها بريق امل:
- على الذهاب. ربما...
غير ان غاري لم يفكر الا باللعب. لم تحرز على البقاء مطولاً، فذهبت بسرعة للقاء ترانت. فقال لها مبتسماً:
- كنت ابحث عنك. حصلت مشاكل مع بعض الزبائن واكون مطمئناً لو تعودين الى كوديا الآن. عبدول في انتظارك.
تبعته فيفيان كالآلة. لم تتذكر شيئاً من طريق العودة. كانت مأخوذة بالتفكير بغاري وحسب... غاري الذي التقته اخيراً بعد اسابيع من البحث غير المجدي. ولما دخلت الى غرفتها، كانت تطير فرحاً.
كم الحياة تدهش احياناً! لقد بحثت عنه المدينة كلها ولم تكن

تعرف ان عازف السكسفون يتردد الى «المقهى الانكليزي». اي في متناول يدها!
وتلك الليلة، لم تنم جيداً، وفي اليوم التالي تهيأ لها انها تعيش حلماً. وفي المساء بعد ان لعبت «بالكروكيه» مع روبرت وسبحت برفقته بدأت تبحث عن وسيلة للعودة الى الكازينو من جديد، ذلك لاقتناعها بأن غاري يقضي سهراته حول طاولات القمار. اي حجة ستقدمها لترانت كي لا توقظ عنده الشكوك؟
ولما انتهى العشاء، قالت فيفيان:
- هل تنتظر مجيء العديد من الزبائن، هذا المساء، الى الكازينو؟
ابتسم لها ترانت واجاب:
- خلال الصيف، نستقبل العديد من السياح، لكن في الأوقات العادية، لدينا زبائن بصورة منتظمة. وهذا ما افضله.
انحنى ليأخذ كأسه وبدأ يحدثها عن زيارة الأمس قائلاً:
- هل يعني ان زيارتك الى الكازينو كانت موفقة؟
لم تهتم لتعبيره الساخر واجابت بلهجة خفيفة:
- كان رائعاً مراقبة اللاعبين، لكنني لا اتمنى ان اكون مكانهم!
- اعرف. فلم تصرفي القسيمة التي اعطيتك اياها. اذا اعجبتك سهرة الأمس، يجب ان تعودي مرة اخرى!
- آه، هل يمكنني ذلك؟ انا...
اخفضت نظرها وحاولت ايجاد عذر مقنع وقالت:
- قلت لنفسي ما دام روبرت نائماً، لا داعي ان ابقى في المنزل. ارهقت نفسي في الأيام الاخيرة و... ومن المفيد ان اغير قليلاً.
تأملها ترانت بامعان وقال:
- انا متفق معك كلياً. فضلاً عن حاجتي لعبدول في الكازينو.

نهض واقترب من ضيفته ليساعدها على النهوض وقال:
ـ لا تترددي في المجيء الى «المقهى الانكليزي» متى شعرت برغبة في ذلك. سأفعل جهدي كي تمضي سهرات رائعة.
ـ آه، لا ارجوك! لا تتعب نفسك من اجلي!
ـ صحيح انك ستكونين وحدك عندما اكون مشغولاً في مكتبي، لكن ما دمت موجودة تحت سقفي، فسأليي كل رغباتك.
كانت الفتاة الانكليزية واقفة وترانت قربها. كان ينظر اليها مطولاً اكثر من العادة ثم اعلن قائلاً:
ـ اسعدت مساء، يا فيفيان. سأراك بعد قليل، على ما اظن.
هزت رأسها موافقة. تبذل جهداً كي تكبت انفعالها. وبعد ذهابه صعدت فيفيان الى غرفتها وبحثت عن فستان يذكر غاري بالصيف الذي قضياه معاً. لكنها لم تعد تملك شيئاً من فساتين المراهقة. انها ناضجة الآن وتصرفاتها تغيرت.
اختارت فستاناً ابيض وسترة مذهبة وانتعلت حذاء ذهبياً وحملت حقيبة مماثلة. تعطرت ونظرت الى نفسها في المرآة باعجاب ثم هبطت الى حيث عبدول ينتظرها في سيارة الليموزين. ماذا لو لم يأتِ غاري الى الكازينو؟ ماذا لو كانت مخطئة في اعتقادها انه يقضي امسياته في الكازينو؟ اذا خاب املها، فلا مجال ان تتغلب على سوء حظها. . .
وما ان دخلت الى مبنى الكازينو حتى شرعت تبحث بنظراتها عن غاري بين الزبائن العديدين. ربما وصل غاري اولاً الى المقهى ليحتسي كأساً قبل التوجه الى صالة اللعب.
وبينما كانت منهمكة في التحديق في الجموع كادت ان ترتطم بترانت. امسكها في الحال بكتفيها ليمنعها من السقوط وقال:
ـ فستانك رائع! وعطرك لذيذ! كنت ذاهب الى مكتبي. بامكاننا

ان نحتسي كأساً هناك قبل ان يعج المكان بالناس.
ـ بكل امتنان.
وما ان وصلا الى المكتب حتى اسرع ترانت في فتح زجاجة المشروب وسكب كأسين. بعد لحظة دخل اندريه. اعتذر وكلم ترانت للحظات قليلة ثم خرج من جديد. وبعد قليل انفتح الباب ودخل موظف آخر يطلب رأي معلمه في مسألة اخرى.
تدخلت الفتاة قائلة:
ـ انت منهمك يا ترانت، سأتركك. اكمل، ارجوك.
اوصلها الى الباب وقال بابتسامة متعبة:
ـ انت حرة للتنزه حيث تشائين داخل الكازينو. والموظفون على علم بذلك. اذا تعرضت لأي مشكلة، ما عليك الا اعلام عبدول بالأمر. سنلتقي عما قريب.
خرجت فيفيان متأملة ان يتسنى لها الوقت الكافي للتحدث مع غاري قبل ان يخرج ترانت من مكتبه. توجهت في الحال الى غرفة اللعب. لكن لا اثر لوجوده. قررت العودة الى المقهى. وبينما كانت تتأرجح بين الطاولات لاحظت ان الموظفين ينحنون امامها. لقد سبق وشاهدوها برفقة ترانت الذي طلب منهم ان يعاملوها بلياقة.
عادت من جديد الى صالة اللعب. هذه المرة، انتفضت لرؤية غاري واقفاً قرب الروليت فقالت بصوت مرح:
ـ مساء الخير. اما زلت تراهن بمبلغ ضخم؟
لا يبدو ان غاري اعجب بهذا المزاح. فالتفت اليها وقال:
ـ هذا انت مساء امس! تساءلت اذا لم اكن احلم.
ـ هل كان حلماً جميلاً. لقد مر على لقائنا الاخير اربع سنوات، يا

غاري .

ـ كنت احاول ان اتذكر اسمك . فجأة تذكرت! فيفيان بليث . . منذ ان كنت اعمل في فندق رياض . . . ماذا فعلت بعد ذلك؟

ـ آه . . .

كانت ستزد عليه بمزاح عندما اطلق بضعة شتائم وقال :

ـ ارجوك ان تعذريني لحظة واحدة .

وضع بضعة فيش على ارقام معينة . وبدأت الروليت في الدوران

ـ ماذا كنت تقولين؟

ـ آه ، لا شيء . لماذا لم تضع كل الفيش على رقم حظك؟ يوم ميلادك مثلاً . هل تتصور الثروة التي ستربحها اذا جاء هذا الرقم!

ـ لا يجب الاتكال على الحظ ، بالعكس من المفروض القيام ببعض الحسابات ، وبصورة جيدة .

توقفت الكرة الصغيرة وخسر غاري . وكي تنسيه خيبة امله . سألته بمرح :

ـ وانت؟ ماذا تفعل؟

ـ ليس علي ان اشكو من شيء . اعمل في التصوير الآن . لقد تركت الموسيقى ، فالمنافسة قوية جداً .

وسيطر صوت مدير اللعب على ثرثرة اللاعبين فقالت :

ـ ليس هذا هو المكان المفضل للمناقشة . . . لماذا لا . . .

ـ لحظة! يجب متابعة اللعبة!

اصرت فيفيان قائلة :

ـ لماذا لا نذهب الى المقهى ونحتسي كأساً هناك؟ فبامكاننا ان

نتكلم عن الأيام الماضية .

وافق واجاب :

ـ نعم . اذا هذا ما تريدينه .

القت فيفيان نظرة سريعة حولها لعلها تلمح ترانت . رأته في آخر الصالة . فراح قلبها يخفق بسرعة جنونية . هل رآها تتحدث مع غاري؟

٦ - ولادة الشك

امسك ترانت ذراع الفتاة الانكليزية وقال:

ـ تعالي، سأقدمك الى بعض الذين يحبون التردد على «المقهى الانكليزي».

تكلم بلهجة مازحة، فاسترخت قليلاً وخبأت وراء ابتسامتها خيبة املها حيال لقاء غاري اللامبالي.

ـ ترانت صديقي العزيز! كنت اقول لمايا. . . آه، من تكون هذه الآنسة الرائعة؟

نظر الرجل المجهول مطولاً الى فيفيان، من رأسها حتى اخمص قدميها بفرح واعجاب فقدم ترانت الفتاة بأنها تكون صديقة اخيه.

وفي هذه الاثناء تمكنت فيفيان من النظر الى بعض الزبائن داخل

الصالة.

اكمل الرجل المجهول كلامه قائلاً:

ـ كنت اقول لمايا، انه يجب عليك ان تفتح مطعماً فرنسياً كبيراً كالذي نملكه في مدينة كان الفرنسية.

ـ نحن في المغرب، يا ديريك. «المقهى الانكليزي» مشهور بمأكولاته المغربية التي تقدم في اطار مغربي.

ـ في هذه الحال، لماذا لم تسمه «المقهى المغربي؟».

اعلن رجل آخر:

ـ انا من رأي ترانت. في مطعم برج ايفيل، في باريس، بامكاننا ان نأكل المأكولات الفرنسية. هنا، نريد ان نأكل الكوسكوس والباستيلا.

تدخلت امرأة مسنة في الحديث وقالت:

ـ لكن المغامرة قبل كل شيء. اعرف رجلاً ربح ثروة كبيرة. في ليلة واحدة، ضاعف ثروته الاصلية ثلاثين مرة و. . .

ـ وفي مساء اليوم التالي، خسر كل شيء، على ما اظن!

قهقهت المجموعة عالياً. وضع ترانت ذراعه وراء كتفي الفتاة، مشركاً اياها في الحديث. وبعد قليل توجهت المجموعة الى صالة اللعب. فقال ترانت:

ـ لقد تأخرت، سيأخذك عبدول الى المنزل. سأناديه لك.

هزت فيفيان رأسها وبقيت مكانها بانتظار عبدول. فجأة شعرت بيد تضغط على معصمها، فالتفتت ورأت غاري امامها. فقال بابتسامة عريضة:

ـ هل بامكاني ان اقدم لك كأساً؟

ـ كلا، اشكرك. لقد احتسيت كأساً الآن. هل ربحت؟

- كلا. لكنني بدأت اتعلم ان اكون خاسرا، بتصرف بلباقة. شاهدتك برفقة ترانت كولبي، المدير العام للكازينو. هل هو احد اصدقائك؟.

- نعم.

- كيف تعرفت اليه؟

- انها قصة طويلة.

- اعشق القصص. في كل حال، ألم نتفق ان نتكلم عن الماضي، انت وانا؟

الفتاة الانكليزية تراقب الباب. فجأة، اعلنت بسرعة:

- آسفة، يا غاري. علي الذهاب الآن. ها هو ترانت.

- اذن، ما دمت غير قادرة على الكلام الآن، لنلتقي غداً في الشهرزاد. . . في الثالثة بعد الظهر.

فكرت فيفيان بالأمر سريعاً. روبرت يمضي نهار الغد في المستشفى وترانت يبقى في المنزل. هل تقبل هذا الموعد؟

قالت الفتاة قبل ان تبتعد:

- اتفقنا.

ما ان خطت بضع خطوات حتى التقت بترانت، فأخذ ذراعها وقال:

- سأرافقك الى المنزل بنفسي.

وفي اليوم التالي وفي حوالى الساعة الثانية والنصف، خرجت فيفيان من غرفتها، وقلبها يخفق بسرعة وهبطت السلالم. الصمت يعم الفيلا. توجهت الى الجناح الصيفي حيث تجلس احياناً مع روبرت لرؤية البحر، ثم اجتازت المروج، وبعد ان قطعت مسافة طويلة على الطريق العام، اوقفت سيارة تاكسي ووصلت الى مقهى

الشهرزاد في تمام الثالثة. كان المقهى يقع قرب الجامع الكبير ويؤمه السياح بكثرة. بحثت عن غاري بعينيها ورأته داخل المقهى. كان جالسا على حدة حتى لا يلفت النظر، فهي لم تطلب منه ذلك. لكنها توافق مبادرته الذكية.

اسرعت نحوه وابتسامة كبيرة على شفتيها. ولخيبة املها، لم يهنئها على فستانها الجميل، واكتفى بالاشارة الى المقعد فجلست فيفيان، فسألها:

- ماذا تشربين؟

- عصير البرتقال.

- وانا كذلك.

ولما جلب الخادم المشروب، رفع غاري كأسه وافرغه بجرعة واحدة ثم طلب كأساً ثانية. لاحظت الفتاة الانكليزية بعض التجاعيد في وجهه لم تنتبه اليها عندما رأته في الكازينو. لكنه ما يزال الرجل نفسه. . . اي ذلك الرجل الذي دخل قلبها منذ اربع سنوات. قالت بصوت ناعم:

- حدثني عنك.

- اعمل في التصوير الفوتوغرافي لدى صديق. ومركز عملنا يقع في شارع فاس اننا نصور المارة بصورة عامة. وانا اظهر الصور في الغرفة السوداء. ليس عملاً يتطلب مهارة، لكنه طريقة لكسب العيش.

- والكازينو؟

- انه المكان الوحيد حيث استطيع ان اربح بسرعة مبلغاً كبيراً. لا انوي ان اقضي حياتي كلها في محل التصوير! على فكرة، كنت البارحة، على وشك ان تخبريني كيف تعرفت الى ترانت كولبي. لا

يلتقي الانسان يومياً بشخص له علاقة حميمة مع اغنى شخصية في طنجة!

ـ انها قصة طويلة.

ـ امامنا كل فترة بعد الظهر.

ـ لن تصدق ما سأقوله!

ـ دعيني ارى ذلك!

اخذ مجة من سيكارته ورأت في وجهه تعبيراً فضولياً. لا يمكنها ان تبوح بسرها لأحد، بل لغاري فقط. فشرعت تخبره عن الصداقة التي نشأت بالمراسلة ثم اصبحت حباً... وعن مرض روبرت واخيراً، عن الخدعة بأخذ دور صديقتها لوسي.

ولما انتهت من حديثها قال غاري:

ـ والمريض لا يعلم شيئاً عن هذه الخدعة؟

ـ لا شيء. روبرت سعيد الآن وهذا اهم ما في الأمر. لن يعلم الحقيقة ابداً.

ـ هل محكوم عليه بالموت من جراء هذا المرض.

ـ نعم. انه يضعف يوماً بعد يوم. لماذا الحياة قاسية الى هذه الدرجة؟ اذا كان هناك انسان يجب ان يعيش، فيكون روبرت! انه شاب ناعم، كريم ورائع. احبه كثيراً ولا انوي ابداً ان اؤذيه... ولهذا السبب غادرت الكازينو امس بهذه العجلة. اذا عرف ترانت...

ـ يحب كولبي اخاه الصغير، اليس كذلك؟

ـ انه يعبده! انه يحميه!

ـ لا شك انك مسرورة بالعيش في فيللته الفاخرة! يبدو انها تعج

بالاثاث الفاخر والقطع النادرة.

قالت فيفيان ببساطة:

ـ لم الاحظ ذلك، لأنني امضي نهاراتي خارجاً. روبرت يستطيع ان يسبح ويحب...

لكن صديقها لم يعد يصغي اليها. كان منغمساً بافكاره، فأطفأ سيكارته في المنفضة، ثم نظر الى ساعة يده وقال:

ـ يجب ان اذهب الآن.

خاب املها وصرخت تقول:

ـ الآن؟ اعتقدت انك متفرغ لي كل فترة بعد الظهر!

ـ كنت امزح معك. في الواقع، لدي عمل في المختبر. يجب ان اراك من جديد، من كل بد. هذا المساء، في الكازينو؟

احتلها فرح لا يوصف وقالت:

ـ ليس الأمر سهلاً، يا غاري. يعتقد ترانت انني واقعة في حب اخيه، لا تنسى ذلك! لا يجب ان اظهر انني اميل لرجل آخر يتردد الى «المقهى الانكليزي»!

هز غاري كتفيه وقال:

ـ لا تبالي بالأمر كثيراً. فالنساء المتزوجات يتحدثن مع رجال غير ازواجهن عندما يسهرن في الكازينو!

فكرت فيفيان بالأمر ووجدت ان غاري على حق في ما يقوله. في كل حال، صديق ترانت ديريك، غازلها امس بوقاحة ولم يعلق ترانت اهمية لذلك.

ـ اتفقنا. لكن الأمر مستحيل هذا المساء. عندما يمضي روبرت نهاره في المستشفى ابقى معه مطولاً في المساء. غداً، اذا اردت.

ـ اتفقنا. لننتظر الساعة الحادية عشرة اي عندما تخف الزحمة.

وهكذا لن يلاحظنا احد.

نهض بسرعة واختفى. لم يدفع للخادم. فاحمر وجه الفتاة وراحت تبحث في حقيبة يدها عن المال، دفعته وخرجت. وبينما كانت تلوح لسيارة التاكسي تذكرت انهما لم يتكلما عن الأيام الماضية. لكن المهم بالنسبة اليها ان غاري يريد ان يراها من جديد.

اليس هذا سعادة لا توصف؟

وفي ذلك المساء، اهتمت فيفيان كثيراً بمريضها اذ عاد روبرت من المستشفى شاحب اللون وطلب الايواء الى فراشه في الحال. صعدت معه الى غرفته وساعدته على ارتداء بيجامته ومئزره. ثم اختارت بضعة دواوين شعر وضعتها على الطاولة قربه ثم ملأت ابريقه بالماء المنعشة. كان ترانت يراقبها وشعرت الفتاة بنظراته تحدق بها بينما كانت تتنقل داخل الغرفة. لماذا هذا الاحساس بالذنب؟ الا تقوم بجميع امكانياتها لاسعاد روبرت؟ الا يحق لها الاهتمام بحياتها الخاصة؟

خرج ترانت من جناح اخيه للاستعداد للعشاء. فبقيت فيفيان قرب المريض الذي كان مستنداً على وسائده، يتأمل زجاجات الادوية العديدة الموضوعة على طاولته ثم قال بمزاج اسود:

- من كل هذه الادوية، لا يوجد الا دواء واحد يساعدني على العيش!

كانت فيفيان جالسة قربه تتأمل ملامح الخوف والتشاؤم في عيني روبرت. جذبها اليه واخبأ وجهه في شعرها وقال:

- ضميني، يا فيفيان. ضميني بشدة.

تناول صاحب المكان وضيفته العشاء بصمت. حتى الخادم معين كان صامتاً. وما ان ذهب ترانت الى الكازينو، انسحبت الفتاة

الانكليزية الى غرفتها. لا احد يمنعها من الذهاب الى الكازينو للقاء غاري، لكنها لم تكن في مزاج للخروج.

عندما تشرق الشمس في سماء زرقاء خالية من الغيوم، تتطاير كل الهموم الليلية. الاشجار المزهرة واشجار النخيل تعكس صورها في ماء البركة الهادئة. هذه الطبيعة الجميلة ساعدت سكان كوديا على مواجهة النهار بفرح ونشاط. الفطور كان مرحاً. وكان روبرت مرتاحاً واكل بشهية. اما ترانت فكان يرتدي قميصاً معرقة وسروالاً فاتح اللون يظهر لون بشرته الملوحة. لم يسبق ان رأت عينيه بهذا اللمعان الازرق. احست برغبة في الغناء من دون سبب واضح.

بعد الفطور دفعت كرسي روبرت نحو الحديقة. في المرج، تسليا مع فرقة كلاب يملكها احد العمال الزراعيين. بعد الظهر امضيا معظم الوقت في حوض السباحة، يتشاجران ويضحكان في الماء مثل الاولاد. لو تستمر الحياة على هذا المنوال! لو روبرت... كبتت في الحال الألم الذي احتلها واطلقت ضحكة مرحة واسرعت لالتقاط الطابة.

ولم تتذكر موعدها مع غاري الا عندما كانت تستعد للعشاء. ارتدت فستاناً وردياً وفضياً ووضعت في شعرها دبابيس بشكل نجمة تحمرت وتزينت.

كان ترانت ينتظرها في غرفة الطعام. ولما دخلت راح يتفحصها ملياً. وخلال العشاء تحدثا عن مراحل النهار. ثم سألها ترانت:

- انت متألقة الجمال، هذا المساء. هل تنوين المجيء الى الكازينو؟

- هل لديك مانع؟

اجابها مبتسماً:

- ابداً، لا مانع لدي. انت بحاجة للتسلية وافضل ان اعرف انك موجودة في «المقهى الانكليزي».

وبعد العشاء توجها نحو النافذة. اصبح الليل حاراً، فخرجا الى الشرفة ودخنا السكائر بصمت وهما يتأملان اضواء المدينة البراقة ويصغيان الى امواج الاطلسي ترتطم بالشاطىء. وعندما قرر ترانت الدخول، كان وقته الاعتيادي للذهاب الى العمل قد ولى منذ وقت طويل.

صعدت فيفيان الى غرفتها لتغتسل قليلاً. ولما سمعت محرك السيارة تقلع، نظرت الى المرآة ووضعت عطراً ناعماً واسترخت في مقعدها قليلاً. وفي العاشرة نزلت لتعلم عبدول بحضورها، لكن، ظهر فجأة امامها صاحب المكان الذي قال للحال:

- سبقني عبدول الى الكازينو وفضلت ان ارافقك ما دمنا نذهب الى المكان نفسه.

- اشكرك.

كان قلبها يخفق بسرعة جنونية وهما يتوجهان الى السيارة الحمراء السريعة.

امام الكازينو وقف جمع من الرعاع وشعرت الفتاة بيد ترانت تضغط على ذراعها. فجأة صرخ احد الرجال وانفجر الضحك في الحال. وبينما كانا يستعدان للدخول الى الكازينو، تلقت فيفيان ضربة على ساقها وصرخت الماً. اطلق ترانت شتيمة ودفع صديقته الى الداخل بسرعة.

ولما اصبحا بأمان داخل الكازينو، سأل ترانت ضيفته وهو يتفحص جرحها.

- كيف تشعرين؟

قالت ضاحكة:

- انه جرح بسيط.

اعطاها مفاتيحه وقال:

- اذهبي الى مكتبي واسترخي من هذه الصدمة. سآتي بعد قليل بعد ان آمر بابعاد الرعاع.

اجتازت فيفيان المقهى ولا احد لاحظ دخولها المضطرب. وفي البهو حياها موظف بانحناءة ثم دخلت الى المكتب. نظفت ساقها في الحمام وسرحت شعرها. ولما وصل ترانت، كانت تتأمل باعجاب خارطة طنجة المعلقة على الحائط.

فسألها مبتسماً:

- هل تشعرين بتحسن؟

اجابت بمزاح وهي تنظر الى ساقها.

- لا يمكنني حتى ان اطلب تعويضاً منك لتشتري لي زوج جوارب.

فتح ترانت خزانة الادوية المعلقة فوق المغسلة وتناول مرهماً وقال:

- هذا يسكن الآلام.

جلست على الاريكة، ركع امامها ترانت وراح يدلك ساقها بنعومة فائقة. فلاحظت فيفيان شعره النحاسي وكتفيه العريضتين المفصلتين البارزتين تحت بزة السموكينغ. ولما نهض واقفاً كانت ملامحه قاسية وقال:

- اتساءل اذا كنت سأسمح لك بالعودة الى الكازينو في المساء!

- ولما لا؟ لم اصب الا بخدش بسيط!

- لا اريد ان اراك من جديد عرضة لحادث من هذا النوع. في هذا الوقت من السنة ينزل الرجال من التلال الى المدينة للبحث عن

عمل. وحين يربحون المال، يفقدون عقولهم.

دخل بعض الموظفين لاستشارة رئيسهم. فقالت ڤيڤيان لترانت:

ـ سأتركك الى عملك لأقوم بجولة داخل الكازينو.

رافقها الى الباب وسألها:

ـ هل انت متأكدة من ان ساقك لا تؤلمك؟

ـ لم اعد افكر بذلك.

ما زال الوقت باكراً. دخلت ڤيڤيان المقهى وجلست على كرسي وتحدثت الى احد الموظفين وهو اسباني الجنسية، وابتعدت عنه لما بدأ الزبائن بالدخول. ثم توجهت الى صالة القمار وجلست امام احدى الطاولات لمتابعة اللعب. لم تعد مهتمة بموعدها مع غاري. فجأة همس صوت مألوف في اذنيها:

ـ مساء الخير! كيف حالك؟

ـ وعدتني ان تنتظر حتى تعج الصالة.

ـ لا تمازحي. لنجد مكاناً منزوياً حيث يكون بامكاننا ان نتحدث بحرية.

اخذها الى المقهى وطلب الشراب. وبعد ان احضره الخادم، امسك غاري بيد الفتاة وقال:

ـ كم انا سعيد لرؤيتك يا حبيبتي. اول امس، شعرت بالذنب لانني تركتك بسرعة! هل سامحتني؟

فوجئت الفتاة بهذا الاستقبال الحميم، الدافىء، واجابت بابتسامة مضطربة:

ـ طبعاً! في كل حال كنت مضطراً للذهاب الى العمل! لا الومك ابداً.

ـ هذا يعني انك لم تفكري بي. لقد انتظرت لقاءنا هذا بفارغ

الصبر. ونحن الآن مضطران ان نلتقي بالسر!

ـ انا آسفة، لكنني شرحت لك الوضع واعتقدت انك فهمت...

ـ لا تزيدي على معاني كلماتي. انا مستعد للتساهل كي لا احزن كولبي الصغير. وبينما ارغب بشدة ان اضمك بين ذراعي، يحق لي فقط ان اقدم لك كأساً!

شعرت ڤيڤيان باضطراب كبير. لقد انتظرت هذه اللحظة سنوات طويلة. لكن لماذا لا تفرح لذلك؟ بالعكس، تشعر بتوتر واضطراب. ربما لأن كلماته كان لها وقع مفاجىء عليها... ربما قلقها لما يخص بروبرت يخفف عنها الفرح... في الواقع، صورة واحدة تأتي الى مخيلتها... وهي صورة ترانت، الراكع امامها، يدلك ساقها المجروحة. اطلقت ضحكة لتبعد هذه الصورة من مخيلتها وقالت لغاري:

ـ سيكون للقائنا طعم طريف!

ـ هل انت بحاجة الى ذلك؟

غير الحديث بسرعة واضاف يقول بمرح:

ـ اخبريني عن ابحاثك. كنت مقتنعة اذن انني ما ازال في طنجة؟

شرحت له الفتاة الانكليزية انها بحثت عنه في كاسبا والمدينة الحديثة، لكنها كانت تشعر انه لم يكن يصغي الى حديثها. وما ان انتهت حتى ضغط على يدها من جديد وقال:

ـ ها نحن اخيراً معاً والباقي لا يهم.

القت الفتاة نظرة حولها وقالت:

ـ اليس من الافضل ان نعود الى صالة اللعب؟

ـ لدي فكرة افضل من هذه.

نهضا وتوجه غاري نحو باب فتحه واخرج الفتاة الى الحديقة. الهواء يعبق برائحة الليمون الحامض وهدير البحر يسمع عن قرب.

جذب غاري فيفيان اليه وعانقها. كانت دائماً تحلم بهذا المشهد، لكنها بدلاً من ان تعانقه بدورها راحت تنظر بعصبية نحو نوافذ صالة اللعب وتقول بصوت منخفض:

ـ لنكن حذرين. ربما رآنا احد.

اجابها قبل ان يعانقها من جديد:

ـ لا يوجد احد في الخارج في مثل هذه الساعة.

وبعد قليل، كانا يمشيان جنباً الى جنب. كانت الفتاة تود الدخول والهرب منه، لكنها كانت تخشى ان تجرح شعوره.

ـ لن يسمح لي ترانت بالعودة الى الكازينو بعد الآن بسبب الشجار الذي حصل امام الباب لدى وصولنا.

ـ هل يشك بامرنا؟

عضت على شفتيها وقالت:

ـ لا اعرف. هل عرف، يا ترى، انني لست واقعة في حب روبرت؟

ـ لا، كوني لا يشك بشيء. والآن، لنعد الى الداخل ونفترق امام الباب. لا تقلقي، الوضع لا يزعجني ابداً.

ضمها اليه فاضطرت الى ان تقول له:

ـ انا اشكر تفهمك للوضع.

ولدى وصولها الى صالة اللعب، شعرت بارتياح كبير. لكن السهرة فقدت سحرها لهذا الموعد السري مع غاري ولم تكن تتمنى سوى العودة الى كوفيا. كان ترانت منغمساً بحديث محتدم مع بعض الاشخاص. هل رآها؟ راحت تراقب امرأة عجوزاً ترتدي المخمل

الأسود وعلى رأسها تاج يلمع وامامها فيش عديدة.

همس ترانت بأذنيها بعد ان حيا العجوز بانحناءة من رأسه:

ـ هذه زبونتنا المفضلة. نادراً ما تخسر في اللعب.

ـ الا تنزعج لرؤيتها تربح غالباً؟

ـ ابداً. بالعكس، فهذه دعاية جيدة لنا!

راحا يتمشيان قليلاً في الصالة. ثم اعلنت فيفيان بصورة غير منتظرة:

ـ اعرف انك بحاجة الى عبدول في مثل هذا الوقت. لكن ربما بامكانك مؤقتاً التخلي عن خدماته لتسمح له بايصالي الى المنزل؟

توقف ترانت مكانه وحدق بها وقال:

ـ هل سائقك تركك؟

ـ لا، لا. لكن المكان يعج بالناس وانا اشعر بالتعب.

ـ كان عبدول هنا منذ لحظة. سأبحث عنه.

لم يتسن لها الوقت لاستيعاب ما جرى حتى عاد ترانت برفقة السائق.

ـ لقد افهمته بأنك تريدين العودة الى المنزل في الحال.

شكرته وتمنت له ليلة سعيدة. وبينما كانت تجتاز الصالة، شعرت بنظرات ترانت تحدق بها مفصلاً.

٧ ـ المتسلل الليلي

وفي اليوم التالي وقع روبرت مرة ثانية. كانت فيفيان معه في حوض السباحة عندما اغمض عينيه وغاب عن الوعي. غطس هارون في الحال وحمله وصعد معه. كادت الفتاة ان تجهش بالبكاء، لكنها قامت بجهد قوي للسيطرة على انفعالها عندما لمحت وجه ترانت الشاحب. ساعدت الخادم على لف المعاق بمنشفة بينما ذهب صاحب المكان الى الهاتف للاتصال بالمستشفى.

وعمّ الصمت ارجاء الفيلا. الخدم يتنقلون بخطى حذرة، وحتى موريس الطاهي لم يعد يرنّم الحان الاوبرا امام اقرانه في المطبخ.

اخيراً ذهب الاطباء. فصعدت فيفيان الى جناح روبرت، ورأته جالساً في سريره. وبالرغم من شحوب وجهه كان يبتسم. وبدا

ترانت هادئاً اكثر من العادة واقترح ان يتناولوا جميعاً طعام العشاء في غرفة المريض. وفي تلك الليلة وجدت الفتاة الانكليزية صعوبة كبرى في الخلود الى النوم...

في اليوم التالي، خرج روبرت كالعادة لتناول فطور الصباح على الشرفة. ثم اخذته الفتاة الى الحديقة. وخلال فترة بعد الظهر لعبا الكروكيه معاً. وخلافاً لعادته تخلّى ترانت عن مستنداته ليلعب معهما. فلم تلعب الضيفة جيداً بسبب نظرات ترانت الحاكمة، لكنها لم تأبه للأمر، ما دام روبرت فرحاً لمقارنة نفسه بأخيه.

ثم جلس الثلاثة تحت ظلّ اشجار الزيتون ليحتسوا المشروبات المنعشة.

وقبل ان تتمدد فيفيان على كرسيها كالعادة، راحت تجفف جبين روبرت المتصبب عرقاً. فاستغل المريض هذا الاعتناء الزائد واحاط خاصرة الفتاة بذراعيه وجذبها نحوه وقال مبتسماً:

ـ انت منعشة ورائحتك تعبق بزهور الغابات.

نظر الى السماء كأنه يبحث عن الالهام ثم نظر في عيني فيفيان وقال:

ـ لا ارى الزهور على قدميّ ولا الورد العطر على الاغصان...

كان يلقي بيتاً من الشعر مما جعل فيفيان تنزعج من هذا الوضع. وكم كانت تأمل لو انها تملك هذه الموهبة لتردّ عليه! لكنها ليست لوسي ورفيقها كان خائب الامل لأنها لم تعرف الردّ. شعرت بانزعاج مضاعف، في ذلك النهار، خاصة ان ترانت كان موجوداً معهما.

ولكي تروّح عن مريضها، طبعت على جبينه قبلة خفيفة، ثم نهضت وقالت:

ـ حان الوقت كي اقصّ لك شعرك!

قال روبرت موجها حديثه لأخيه:
- حسب رأيك يا ترانت، هل النساء يتغيرن؟ من زمان كانت النساء يعشقن صوت القيثارة والقصائد التي تتغزل بهن. لكن في يومنا هذا احس بقصائد رائعة لصديقتي الناعمة وتجيبني بأنها ترغب في قصّ شعري!

نظرت فيفيان في قعر كأسها وسمعت ترانت يقول بلامبالاة:
- لا شك انها لا تميل الى هذا الفن...

رفعت الفتاة عينيها نحو ترانت وتساءلت:
هل هو على علم بهذه الخدعة؟

أجاب روبرت قائلا:
- انت مخطىء. فيفيان تتمتع بروح الشعراء. عندما كنا نتراسل، جميع رسائلنا كانت تنتهي بابيات من الشعر.

اسرعت فيفيان الى القول:
- النساء لا يردن العيش في الماضي. الامور تختلف كلياً في الرسائل. لكن، حتى تجد المرأة نفسها الى جانب الشخص العزيز على قلبها، لا تعد بحاجة الى كيتس او بيتس او أيّ فنان مشهور لتعرف كيف تتصرّف!

امسك روبرت بمعصمها وجذبها اليه، ثم التفت بأخيه وقال:
- هل يا ترى، طنجة التي جعلتها تلقي النثر بدلا من الشعر؟
- ربما هكذا.

اشتبكت نظرات الفتاة بنظرات ترانت. لقد دافعت عن نفسها، لكنها تجهل ما يفكر به صاحب المكان... في الواقع.

لم يسترجع روبرت نشاطه. ومرّت الايام من دون قلق. كانت فيفيان تمضي معظم اوقاتها برفقته وتتركه فقط في المساء عندما يتوق

الى الراحة. وفي خلوة غرفتها كانت الفتاة تكتب الرسائل الطويلة الى لوسي. وتشعر باضطراب وتشويش كلما وصفت لها حالة المريض الصحية. لكن ما دامت صديقتها تصرّ على معرفة الحقيقة كاملة، كانت فيفيان تذكر لها جميع التفاصيل كاملة.

وفي الليل الدافىء كان عطر الازهار يفوح في الحديقة. تفتح فيفيان باب شرفتها لتسمع همسات المدينة. لم يمنعها ترانت من العودة الى الكازينو، لكنها كانت في الواقع تعجب بالبقاء داخل المنزل. بعد العشاء كانت تصعد عند المريض لتتأكد من ان لا شيء ينقصه، ثم تعلّم عبدول بأنها لن تكون بحاجة الى خدماته. سهراتها الوحيدة في هذه الفيللا الواسعة كانت كافية لها.

وذات مساء، كانت تقرأ في غرفتها عندما سمعت ضجة لفتت انتباهها. اعتقدت ان الريح عصفت. لكن ما ان خرجت الى الشرفة حتى فوجئت بهدوء الطبيعة. جلست في مقعدها من جديد وعادت تسمع الضجة نفسها. وضعت الفتاة كتابها جانباً وخرجت تنظر الى الحديقة الواقعة في الظلام الكثيف. فجأة راح قلبها يخفق بسرعة جنونية اذ لمحت شبحاً انسانياً.

وهمس الصوت قائلا:
- لا تخافي! هذا انا... غاري!

غاري... في كوديا. اطلقت فيفيان صرخة تعجب وخوف وركضت الى السلالم الخارجية، هبطتها بسرعة. فقال غاري لدى لقائها:
- كنت اتساءل اذا سمعت صوت الحصى على الزجاج. لقد عرفت غرفتك، لأنها الغرفة الوحيدة المضاءة.

بخوف نظرت الفتاة حولها بسرعة وقالت:

- ما كان يجب ان تأتي الى هنا!

- لا احد هنا... كل شيء هادىء.

- هل نسيت وجود الخدم!

الفيللا تعجّ بالتحف الثمينة، لذلك وظف ترانت حراماً ليحرسوا المنزل. ماذا لو جاء الآن احدا الحراس فجأة؟ توترت اعصاب الفتاة الانكليزية وحكّت رأسها بحثاً عن حلّ. المنتزه! لا احد يراهما هناك.

امرته وهي تتمسك بمعصمه:

- تعال!

تبع غاري فيفيان بانزعاج. وما ان اجتازا باب المنتزه حتى تطاير الحمام محدثاً باجنحته ضجة قوية. وخافت الفتاة ان يلفت ذلك انتباه الحراس. اصغت السمع عندما كان غاري يضمها اليه ويعانقها بقوة. حاولت دفعه عنها لشدة توترها، لكنه كان مصراً وانتهت بالاستسلام وحاولت كل جهدها لتركّز انتباهها على ما يحصل.

غير انها كانت تعير انتباهاً لأي صوت يمكنه ان يصدر من حين الى آخر وبدأ عنقها يؤلمها. لم يسبق ان فكرت بأن عناق غاري سيزعجها الى هذه الدرجة! وتهيأ لها انه يريد ان يركّز سلطته عليها. وامام هذه الفكرة غضبت فيفيان وابتعدت عنه. لم ينتبه لتوتر رفيقته وهمس قائلاً:

- جئت عدة مرّات اليوم بعد الظهر. ولما تأكدت من المكان جيداً، لم اجد صعوبة في العثور عليك.

- ما كان يجب عليك ان تتنزه هنا في وضح النهار!

- لم يلاحظ احد وجودي. لا تخافي. على فكرة، لست خائفاً لانك لا تأتين الى الكازينو افضل ان التقي بك هناك.

- حسب رأيي يجب ان ننتظر بضعة ايام. ستجد حلا افضل، انا اكيدة من ذلك.

- سنفكر بالامر بعد قليل.

يبحث عن عناق جديد وشعرت بضرورة الاستجابة لمطالبه. لكن فجأة ابعدها عنه وراح يذرع الارض ذهاباً اياباً. ثم قال:

- من الافضل ان اعود الى منزلي. ربما اكتشف احد غيابك عن الفيللا. وانا مصرّ ان اذهب الى الكازينو لأثبت وجودي.

لم تفهم فيفيان معنى هذه الكلمات الاخيرة، لكنها كانت قلقة جداً. فخرجا من المنتزه وحملها غاري بين ذراعيه مودعاً وقال:

- تشجعي، يا حبيبتي. كل شيء سيتمّ على ما يرام.

ثم اختفى واسرعت فيفيان الى الفيللا. فجأة، شعرت بالدم يجمد في عروقها لدى سماعها عواء يمزق الصمت. انه كلب تسلق شجرة. حبست انفاسها وخافت من الكلب ان يؤذيها. لكن الحيوان عرفها، فاطلق عواء حنونا وسكت. فركضت المسافة كلها حتى وصلت الى المنزل. ولما كانت تنوي التوّجه نحو السلالم الخارجية، اضيء المنزل كله وظهر معين امامها وقال بقلق:

- آسف! سمعت ضجة! اين الحراس؟

- وانا كذلك سمعت شيئاً ما. لا شك ان الضجة آتية من اولاد المدينة الذين يلعبون قرب الابواب المشبكة. كل شيء هادىء الآن. تصبح على خير، يا معين.

دخلت الى المنزل وصعدت الى غرفتها من الداخل. لم يغمض لها جفن طوال الليل. وفي اليوم التالي كانت خائفة من ان يبدأ معين في الحديث ويروي ما حدث مساء امس. ولم تتمكن من الاسترخاء، لا في حوض السباحة، ولا خلال «الكروكيه» لانه في كل مرة تحاول رفع

نظرها تخاف ان ترى غاري امامها. كان ترانت يراقبها عن كثب. لا شك انه يعتبر توترها عائداً الى صحة روبرت المتدهورة. ولما اظهر روبرت رغبته في النوم من دون ان يتناولا العشاء، شعرت فيفيان بقرب الكارثة لأنها كانت تخاف تناول العشاء برفقة ترانت وحده.

ما ان دخلت فيفيان الى غرفة الطعام حتى اسرع ترانت يقول لها:

- تبدين متوترة الاعصاب. هل انت مريضة؟

ضغط الغمّ على قلبها لكنها حاولت جهدها لترد عليه بابتسامة وتقول:

- كلا، انا في أحسن حال. لكنني ربما متعبة قليلاً.

- اذا كان روبرت يستهلك جميع قواك، فيجب ان تعلميني بالامر. انه مليء بالحماس عندما يكون في حوض السباحة وينسى ان المرأة ربما تكون اقل نشاطاً منه.

لم تعرف ماذا تجيب لكن، خوفاً من ان يطرح عليها المزيد من الاسئلة، اعلنت بسرعة قائلة:

- يتهيأ لي ان اخاك بحاجة الى... الى بعض التسلية. صحيح ان لديه حوض سباحة رائع وملعب الكروكيه... لكن اليس هذا أمر شديد المحدودية لرجل مثل روبرت؟

- حاولت ان اقنعه كي يدعو اصدقاءه الى كوديا...

- آه، لم افكر بالناس! بل... ربما... م. بتغيير جوّ. طبعاً، اذا كان قوياً لتحمل السفر!

كان ترانت حالماً يفكر بكلمات الفتاة. ثم قال ملاحظاً:

- كل اسبوع يذهب روبرت الى المستشفى. وبضعة كيلومترات لا تتعبه. ومن جهة ثانية، لم يعبّر عن رغبته في الذهاب الى مكان آخر.

- لم يسبق لروبرت ان وطأت قدماه جزيرة ما! انا اكيدة ان قضاء

عطلة صغيرة في جزيرة ما ستفيده كثيراً.

نظر اليها صاحب المكان بفضول كبير وقال دون ان يرفع نظره عن خديها الملتهبتين:

- افكر بجزيرة وتاهاده الواقعة بعد خليج طنجة. انه مكان خاص وانا اعرف صاحبه. وانا اكيد انه بامكاني اقناعه تأجيري منزله الصيفي.

- آه، هذا رائع. وروبرت سيفرح بالأمر كثيراً.

- نعم، انت على حق. لكن انت من سيقترح عليه هذه الخطة.

- وصديقك هذا، صاحب الجزيرة... هل ستراه عما قريب؟

- هذا المساء. على ما اظن. انه زبون في الكازينو.

حبست فيفيان انفاسها وقالت:

- هل هذا يعني انه بامكاننا ان نذهب الى الجزيرة في القريب العاجل؟

ظلّ ترانت يحدق بضيفته ويقول؟

- متى ترغبين في الذهاب؟

اجابت في الحال غير مكترثة بردة فعل ترانت:

- غداً! بامكاننا ان نحدّث روبرت بهذه الفكرة خلال فطور الصباح. واذا وافق - آه، انا اكيدة ان الفكرة ستعجبه! يمكننا ان نبدأ بالرحيل قبل الظهر. هل هذا ممكن؟

- نعم، هذا ممكن.

ابتسمت ثم قالت:

- سأصعد الى غرفتي بعد العشاء مباشرة واحضّر حقيبتي!

فرح روبرت كثيراً عندما اعلمته فيفيان في صباح اليوم التالي، بمشروع الذهاب الى الجزيرة. وفي بداية فترة بعد الظهر كان الثلاثة

على متن الباخرة الصغيرة التي تنقلهم الى جزيرة تاهاد. ولما وصلوا الى الجزيرة ظلّ بامكانهم رؤية مباني طنجة العالية تبرز من بعيد. هذه الجزيرة الصغيرة المحاطة بأشجار الصنوبر وبالماء الزرقاء.

المنزل لم يكن فاخراً مثل كوديا. لكن غرفه واسعة ونوافذه عالية وفي الارض جلود حيوانات. اما الاثاث فكان مؤلفاً من خزائن مصنوعة من خشب الورد والمقاعد الجلدية والارائك المبطنة. هناك عدد وافر من الغرف وقاعة استقبال واسعة وشرفة زجاجية تستعمل احياناً كغرفة طعام.

وبعد قليل لاحظ الجميع ان الكرسي النقال لا يمكنه ان يسير في الرمل لذلك كان من الضروري اختراع طريقة لنقل روبرت من المنزل حتى الشاطىء. ذهب هارون في الحال وجلب اوراق الخنشار القوي بينما راح ترانت يرسم ممراً يحيطه بالالواح الخشبية. ساعدت الفتاة الانكليزية في اختيار الطريق الذي يطل على منظر خلاب، حيث وضع هارون اوراق الخنشار على الارض. كان مشروعاً طموحاً وما ان انتهى حتى شعرت الفتاة بالارهاق. اما المريض، فكان متحمساً ونشيطاً منذ وصوله. يريد ان يجتاز الممر الذي صمم خصيصاً له. فطلب من هارون ان يأخذه بجولة صغيرة. وبعد ذهابهما جلس ترانت قرب الفتاة على الشاطىء.

كانت فيفيان تتأمل البحر وفي تعبير وجهها ملامح السعادة الكبرى.

قال ترانت:

- حصل روبرت على جزيرته هل انت سعيدة؟

تخيلت كوديا القاحلة حيث بقي الحراس ليحرسوا المكان.

اشارت بهزة رأسها. نعم انها شديدة السعادة. بعد قليل اضاف

ترانت قائلاً:

- ستجدين رزمة في غرفتك بما اننا في عطلة، تصوّرت انك ستكونين بحاجة الى ملابس البحر.

التفتت فيفيان وابتسمت له ثم قالت:

- هدية؟ لي انا؟

- الم تهددي بأنك ستتنزهين بثياب رثة ما دمت لا تملكين الا بزة سباحة واحدة؟

تذكرت فيفيان الحديث الذي جرى بينها وبين ترانت فيما يتعلق ببزة السباحة غير المحتشمة. انها حادثة بعيدة! وادركت انهما لم يتشاجرا منذ وقت طويل. اخفضت عينيها وهمست تقول:

- اشكرك.

عاد روبرت من نزهته وقال:

- تعالي يا فيفيان وشاهدي العصافير في الغابة الواقعة خلف الصخور! تذكرين بيت الطيور في حديقة الحيوانات! اتصوّر انك نسيت المنظار، يا ايتها الطائشة!

- لا. انه معي داخل المنزل.

ذهبت الفتاة لمشاهدة العصافير برفقة المريض ولم تعد الى غرفتها الا وقت الغسق. ولما فتحت الرزمة وجدت داخلها بزتين للسباحة ومئزرين مطرزين وفستاناً خفيفاً. كانت كلها رائعة وتليق بها تماماً. لما وضعتها في الخزانة شعرت فجأة بالدموع تبلل عينيها. كم هي حمقاء لتبكي هكذا!

تناول الثلاثة العشاء على الشرفة. الابواب الزجاجية كانت مشرعة. ورائحة الصنوبر والتمر الهندي تندمج ورائحة البحر. كانت عينا المريض تلمعان فرحاً وهو يصف لأخيه العصافير التي

شاهدها في الغابة. وراحت فيفيان تتأمله واقتنعت بأن هذه العطلة غير المنتظرة كانت منبع سعادة بالنسبة الى الشاب المعاق.

كانت الساعة التاسعة مساء عندما جاء هارون لأخذ روبرت الى غرفته. وراحت فيفيان تجلس على اريكة واسعة وتقرأ في مجلة فرنسية. اما ترانت فكان جالساً في مقعده منغمساً في قراءة كتاب بوليسي. لم يغيّر ملابسه استعدادا للذهاب الى الكازينو. فالجزيرة تقع على بعد ربع ساعة من طنجة.

وفي العاشرة أغلق كتابه وقال:

- اتصوّر ان صديقي توم هاريس لا يملك الاّ الكتب البوليسية في مكتبته. اشعر برغبه كبيرة في قراءة كتاب جيد.

- الن تذهب الى «المقهى الانكليزي؟».

- اوكلت هذه المهام لزميلي ريمون. فهو سيهتم بطاولات اللعب وعبدول سيراقب المكان، كل مساء.

نظرت فيفيان الى الصور داخل المجلة من دون ان تراها. وعمّ الصمت ارجاء المنزل، ولم يسمع الاّ صوت الهواء البحري. لماذا لا يقدم لها ترانت سيكارة بدلا من ان يحدّق فيها بصمت. شعرت فيفيان بالانزعاج بينما كانت تقلب الصفحات بعصبية. اخيراً اقترح عليها قائلا:

- ما رأيك بنزهة على الشاطىء؟

- انها فكرة رائعة!

كانت السماء مضاءة بالنجوم الكثيرة. وراحا يمشيان على الشاطىء الرملي حيث ترتطم الامواج بالرمال. يتقدمان من دون كلمة والرمل يصرّ تحت الاقدام والريح تعصف بهدوء. ولما عادا من حيث انطلقا تمنيا لبعضهما ليلة سعيدة وتوجه كل واحد الى غرفته.

ومرّت الايام التالية في جوّ العطلة. استأجروا مركباً صغيراً ليقوموا بجولة حول الجزيرة وحمل ترانت اخاه على ظهره ليضعه في المركب كما استحما في حوض السباحة الذي يحتوي ماء البحر بسبب وقوعه قرب الامواج. اشجار النخيل والعشب الكثيف تحيط الحوض وتساعد على تخفيف حدة الشمس والحرّ الكبير...

وذات مساء، كانت الطبيعة جميلة الى درجة انها شعرت برغبة في التعبير بحرية عن فرحها وفتح قلبها. كانت واقفة قرب ترانت تنظر الى البحر المتلألىء تحت ضوء القمر.

- هل معقول ان تنتهي هذه السعادة يوماً من الأيام؟

لا شك ان الغمّ والكبت دفعاها الى الالتفات نحو صديقها والقول:

- آه، يا ترانت، كم أتمنى ان أكون قادرة على فعل شيء ما!

تأملها مطولا، ثم قال:

- انت امرأة غريبة... تمضين معظم أوقاتك في عناية روبرت، مثل أخت محبّة. ومن يراك يقول بأنك لا تعيشين الا من أجله.

أخفضت عينيها بسرعة وقالت لتغير الحديث:

- روبرت انسان رائع وحساس... لا يستحق ان يموت!

- من حسن الحظ انه ليس هنا ليسمع قولك.

- الرجال يخبئون عاطفتهم اما نحن، النساء، فلسنا هكذا. يرتاح الانسان ان صرخ او بكى!

- يمكنك البكاء اذا ترغبين ذلك، لكن أخي لن يشفى...

كان كلامه حزيناً. اقتربت منه وقالت باكية:

- آه، يا ترانت! أريد ان يكون روبرت سعيداً جداً! منذ وصولنا الى الجزيرة يتهيأ لي انني أحقق حلماً رائعاً. آه، كم أحب ان يدوم ذلك الى الأبد!

أجاب بنعومة:

ـ من بدري.

داعب شعرها، ثم ابتسم وقال:

ـ تريدين الذهاب في الباخرة الى بحيرة الشربين، أليس كذلك؟ لقد استعلمت عن الذهاب ولا خطر في ذلك. هناك أسماك على جميع انواعها وخاصة «سلطان ابراهيم». لكن يجب علينا ان نستيقظ في الفجر.

ـ سيكون روبرت فرحاً للغاية.

ومرّت الأيام بأحسن حال. لكن فيفيان وترانت كانا يعرفان ان هذه السعادة لن تحيا طويلا.

وذات يوم، في فترة بعد الظهر، بعدما تأملت فيفيان وروبرت العصافير داخل الغابة، ذهبا الى التلة التي تطل على الشاطىء، حيث وقفا مراراً لمراقبة الأمواج وهي تلطم الصخور. عادة، كانت الفتاة تجلس على صخرة صغيرة قرب المريض. اما في ذلك اليوم فاختارت الجلوس على صخرة تقع قرب قدمي المريض.

قال وهو يحدق بالأفق:

ـ لم أصدق انني سأرى يوماً البحر على امتداد النظر. كم تبدو صغاراً أمام البحر! لقد وجدت لي جزيرة، يا فيفيان، وسأكون شاكراً لك دائماً!

دائماً. ماذا يعني روبرت بذلك؟ اسبوع؟ اسبوعان؟ بذلت جهداً قوياً كي تمنع الدموع ان تنهمر من عينيها وقالت بفرح:

ـ ترانت هو الذي طلب من صاحب المكان هذا المسكن لتتمكن من الحصول على الاجازة! لا تنس ذلك.

ـ تتفقان جيداً، هذه الأيام.

ـ دائماً كنا صديقين.

نظر المريض الى فيفيان بحنان وقال:

ـ آه، يا فيفيان. كيف يمكنني ان أعيش بدونك!

وخوفاً من ان ينجرف في هذا الانفعال، قالت فيفيان بسرعة:

ـ لكن، خلال النصف الساعة المقبلة، عليك ان تتخلى عن خدماتي. اذ وعدني الطاهي موريس ان يعلّمني صنع مربى التفاح.

نظرت الى ساعة يدها وقالت:

ـ حان الوقت للعودة قبل حلول الظلام.

وما ان استعدت الفتاة للنهوض، وقعت الكارثة. حذاؤها المالس انزلق من قدميها وهي تطأ الصخرة الناعمة. هل مدّ روبرت لها يده ليساعدها؟ أم هي تعلقت بذراع الكرسي النقال؟ مهما يكن سقطت فيفيان بقوة على الأرض ووقع الكرسي النقال على الصخور السفلى.

ولما رأت المريض مقوقعاً على الصخور، كاد يغمى عليها من الخوف. وبدأت تصرخ بحدة حتى جاء جميع سكان المنزل.

ولما وصل ترانت وهارون وبقية الخدم، كان روبرت قد نجح في الجلوس. فقال بابتسامة عريضة:

ـ لا تنظروا اليّ هكذا! انني على احسن ما يرام!

لكن ذراعه كانت ملتوية ووجهه رمادي اللون.

استدعى ترانت طبيباً من طنجة وخلال فترة طويلة عمّ في أرجاء المنزل غموض كبير. ولما هدأت الأمور كلياً كان الليل قد حل منذ زمن. أعاد ترانت الطبيب الى المركب وانتظرته فيفيان في المكان الذي تعوّدا اللقاء فيه للتأمل في البحر المتلألىء تحت ضوء القمر.

قال ترانت للفتاة لدى عودته:

ـ كسر روبرت معصم يده اليمنى وأصيب ببعض الجروح. أعطي الحبوب المنومة وسينام حتى الصباح.

رفعت نحو ترانت عينين دامعتين وقالت:

ـ انها غلطتي.

بدا على ترانت التعب، لكنه قال بصوت ناعم:

- اخبرني أخي كل شيء. لما أوشكت على الوقوع، حاول هو مساعدتك. لا يجب ان تشعري بالذنب وبمسؤولية الحادث.

- لكني أنا المسؤولة عن هذا الحادث! اخترت مكاناً للجلوس لا يجب ان اختاره اذ كان خطراً. ولم انتبه ان الكرسي النقال قريب من الحافة! أكان يجب ان يتحطم روبرت على الصخور بسببي! لماذا لم يحصل الحادث لي أنا؟

- لكنك أذيت حالك كثيراً. لا تنسي ان روبرت كان لاعب روكبي وقد تعلّم كيف يقع الآن. هدّئي من روعك.

- هل نحن مضطرون الى العودة؟

- نعم. يجب ان يذهب روبرت الى المستشفى بسبب الكسر في معصمه. ليس محموداً ان نبقى هنا في هذه الحالة.

عادت الى المنزل لتوضّب الحقائب. كان قلبها يخفق بسرعة. فلا يمكنها ان تخبر ترانت لماذا تخاف جداً ان تعود الى كوديا.

٨ - السارقان

كان روبرت يتألم من اوجاعه كثيراً، وخلال الأيام الأولى، بعد عودته الى كوديا، لم يغادر فراشه. لكن الابتسامة ظلّت مرتسمة على شفتيه، بالرغم من تعبه وارهاقه. وفيفيان تجلس قربه، تحت ظل الاشجار العالية الواقعة قرب حوض السباحة، وتقرأ له القصائد المفضلة اليه. لكنها كانت آسفة لعدم مقدرتها على وضع نبرة شعرية في القائها. وبدوره، كان المريض يلقي عليها ابياتاً مختلفة فتتأثر كثيراً بحساسيته ودفء صوته.

ولانه كان يذهب باكراً الى غرفته، كانت فيفيان تتمتع بساعات طويلة من الفراغ. وما ان يذهب ترانت الى «المقهى الانكليزي» حتى تلجأ الى غرفة المكتبة لتقرأ او تسمع بعض الاسطوانات. في الواقع

تظل هناك حتى تشعر بالتعب فتصعد الى غرفتها وتنام. وذات مساء، بينما كانت تتحضر لأخذ حمام فاتر قبل اللجوء الى النوم، لاحظت وجود انسان على شرفتها ودخل غاري غرفتها من الباب الزجاجي وابتسامة عريضة ترتسم على شفتيه القى نظرة الى الاثاث الفاخر وقال:

- انها عملية رابحة ان تقومي بدور خطيبة شقيق صاحب كازينو!

اسرعت فيفيان نحوه وصرخت بجنون:

- ما كان يجب عليك ان تأتي الى هنا.

- بالعكس، انه المكان المثالي للثرثرة، سرير مريح و...

قالت بلهجة مداعبة:

- لنذهب الى المنتزه. هناك نكون بامان.

تبعها على السلالم بعناد. ولما دخلا المنتزه كانت اعصاب الفتاة متلفة، جذبها غاري نحوه وقال:

- لم تعلميني برحيلك! لا شك انك ضحكت كثيراً وانت تتصورين انني سأجيء الى كورديا لأجد النوافذ الخشبية مغلقة.

- لم اتمكن من اعلامك بالأمر لأن القرار كان مفاجئاً.

ابتسم بعنف ثم ضمها اليه بشدة اكثر وقال بصوت ناعم:

- لا يهم، ما دمت الآن هنا. هل اشتقت الي؟

اجابت وهي تبتعد عنه:

- آه... لم يتسن لي الوقت في التفكير بك. لقد وقع لروبرت حادث.

- كيف؟ امل ان يكون قد تحسن!

- كسر معصمه واضافة الى مرضه يبدو مضطرباً حتى الارهاق.

- هذا امر طبيعي. دعينا من الحديث عن كولبي الصغير، ولنعوض عن الوقت الضائع.

عانقها بشراسة ثم رفع رأسه وقال:

- لماذا اصريت على مغادرة غرفتك؟ لكنا امضينا ليلة رائعة!

اجابت فيفيان بصوت مرتجف:

- صحيح، يا غاري! كيف تجرؤ على قول مثل هذه الكلمات والشاب المريض يعيش في المنزل!

- كنت امرأة فظة في الماضي، لكنك نضجت بعد ذلك!

دفعته فيفيان عنها وقالت:

- لم اتغير. والآن انصحك بالرحيل!

بدا على وجهه تعبير شرير وقال:

- ها. ها. فيفيان الشغوفة بدأت تبرد عزيمتها. انت التي بحثت عني في جميع انحاء طنجة! وتريدين ان تنسي مواعيدنا السرية... حبنا القديم؟ اريد ان اعرف السبب. لماذا؟

كانت تطرح على نفسها السؤال نفسه منذ بضعة ايام. فقالت:

- لنتكلم عنك، الآن. عندما التقيت بك في الكازينو، لم تبد مستعجلاً لمغادرة طاولة القمار!

- هل تعتقدين انني اغازلك فقط من اجل عينيك؟

قالت بصوت هادىء، والخوف يضغط على قلبها:

- اعتقد انه من الافضل ان تصرح عن افكارك، كي افهم ما تقصده.

اجابها بنظرة قاسية:

- تماماً. لست صاحب ثروة لاعيش كالملوك. وفي طنجة اليوم مئات الاشخاص مثلي. تتدبر امورنا بالتي هي احسن، نعثر على وظيفة صغيرة هنا وهناك بانتظار الحظ الذي سيجلب لنا الثروة الكبيرة. وانا وجدت هذا الحظ اخيراً.

- لا افهم ماذا تقصد. لكن لا اريد ان اسمع المزيد. ارجوك ان ترحل الآن.

رفع كتفيه وتوجه الى الباب وقال:

- اتفقنا. لكن اصر على تحذيرك بان مريضنا الصغير، ربما تعرض لداهمة ليلية. ذلك لانني قمت بخطة دقيقة. كولبي يملك المال الكثير وانا مفلس. واظن انه لا يريد ان يعرف شقيقه الصغير كل الحقيقة، اليس كذلك؟ لذا رسمت خطة لسلبه جزءاً من ثروته.

جمد الدم في عروق الفتاة وقالت:

- هل تعتقد بانني سأتآمر معك في هذا العمل الشنيع؟

- انا مستعد لمقابلة روبرت وسأشرح له انك تلعبين دور صديقتك لوسي.

- لا، ستقتله!

- اعرف ذلك، يا حبي. لذلك انا مقتنع انك ستفعلين ما سأطلبه منك. اسمعيني جيداً جميع العاملين في الكازينو يعرفونك، وانت تعرفين عادات كولبي الكبير. وانا ايضاً راقبته. يغادر مكتبه حوالي منتصف الليل ليقوم بجولة في صالة اللعب. اذن، مساء غد، ستجد حجة لزيارة مكتبه بعد منتصف الليل. هكذا لن يعرف بنا احد وتختلس خزنة الكازينو.

- هذا جنون! المال في الخزنة وترانت وحده يملك المفاتيح. انه يقفل بابه قبل ان يخرج.

- اذن عليك انت ان تلعبي الدور المناسب يا حبيبتي. تعرفين جيداً اين تقع غرفته!

اجابته، شاحبة اللون:

- هل تعتقد بأنني قادرة ان انتشل مفاتيح الخزنة؟

- لا اعتقد، انما اعرف ذلك، يا حبيبتي. انت متعلقة جداً بروبرت ولا تريدين رؤيته يتعذب. اذن موعدنا مساء الغد، في الكازينو، في الساعة الحادية عشر والنصف. نصيحتي الاخيرة، لا تحاولي التهرب من المجيء والا سيصاب المعاق بخيبة امل كبرى. الى اللقاء العاجل، يا فتاتي الناعمة. لتكن احلامك جميلة!

وما ان عادت فيفيان الى غرفتها حتى اصيبت بالخوف والاشمئزاز. اسندت ظهرها الى الباب لأنها كانت على وشك الاغماء. هل تعيش كابوساً؟ الن تستيقظ من نومها بعد قليل وتطلق زفرة ارتياح؟ اقتربت من الكرسي بخطوات مترنحة وارتمت عليه، غاري، الرجل الذي اعتقدت انها وقعت في حبه – آه، انها ترى الآن بوضوح – عندما التقت به في الكازينو، لمحت تغيراً واضحاً فيه ولو انها رفضت الاعتراف بذلك. صحيح انه كان يعيش في الماضي حياة غير منتظمة، لكن في الوقت الحاضر اصبح عديم الاخلاق كلياً.

جن جنونها ونهضت من مكانها وراحت تذرع ارض الغرفة ذهاباً اياباً. كانت تثق بغاري الى درجة انها اخبرته عن سبب وجودها في كورديا. وها هو الآن يهددها بأن يفشي بسرها للمريض. وضعت يديها على فمها وهي تتخيل المشهد. نعم، لديه الوقاحة ان يحقق هدفه الشنيع. انسان عديم الشفقة.

راحت الفتاة الانكليزية تفكر بالمعاق. انه يحبها ويعتقد انها صاحبة الرسائل. ماذا ستكون ردة فعله عندما يعلم بانها كذبت

عليه؟ سيتدمر نهائياً.

كانت الفتاة شاحبة ومندهشة. ولما استرجعت وعيها، كانت قد اخذت قراراً: لا يجب ان يعرف روبرت الحقيقة.

امضت فيفيان ليلة بيضاء. وفي الغد، ارتدت ملابسها بيد مرتجفة ونزلت الى الشرفة. ومن حسن حظها ان كولبي المريض يذهب في هذا اليوم كعادته الى المستشفى.

سبذلت جهداً كبيراً كي تبدو هادئة الاعصاب وابتسمت طوال فطور الصباح. ثم توجهت الى حوض السباحة وهناك فقط ادركت ماذا ينتظر غاري منها. ولو لم يمسك ترانت بذراعها لكانت سقطت ارضاً.

نظر الى وجهها متفحصاً وقال:

- ماذا يجري؟ لم تقولي شيئاً خلال الفطور.

- ربما بسبب الحر. سأتمدد الآن وسأكون على ما يرام.

وضع ترانت كرسياً طويلاً تحت المظلة، فتمددت عليه فيفيان، متعبة.

سألها:

- هل تشعرين بتحسن.

هزت رأسها وتمنت لو يمسك بيدها، تذكرت ذلك المساء عندما ركع امامها ليضع المرهم المسكن على ساقها المجروحة... والمساء الآخر في جزيرة تاهاد عندما اخذها بين ذراعيه ليداعب شعرها. نعم، لقد نظمت هذه العطلة في الجزيرة من اجل ان تراه اكثر... انها تعي ذلك الآن. لكنها لم تكتشف الحقيقة الا بعد التهديد الذي تعرضت له من قبل غاري. وعرفت الآن ان لا رجل غير ترانت يمكنه ان يحتل قلبها بعد الآن.

ادركت اخيراً ان نظرها محدق بترانت. وشعرت بحاجة ماسة ان تبوح له بسرها. فهو ينتظر منها ان تتكلم... نعم، هذا ما تشعر به. وخلال لحظة خاطفة كادت ان تستسلم. لكنها اخفضت نظرها وقالت:

- لا اريد ان اتحرك سأظل ممدة في الظل قليلاً.

وحتى لو اصبحت حزينة الى الابد، عليها ان تفعل ما يريده غاري، كي لا يبوح بسر لوسي...

عاد صاحب المكان ليجلس قربها. ظلت ممددة. لكن احتلها القلق فجأة عندما فكرت بكيفية انتشال مفاتيح الخزنة.

ولما حان وقت الغداء ازداد فيها القلق. لكن، خوفاً من ان يعتقد ترانت انها مريضة، جلست على المائدة معه. لكنها لم تكن قادرة ان تسيطر على ارتجاف يديها. وكادت ان تحطم كأسها غير مرة قال رفيقها:

- اقترح عليك ان تستريحي في غرفتك خلال فترة بعد الظهر.

بذلت جهداً كي تبدو لطيفة ومطيعة، وقالت:

- معك حق، لان رأسي كان يؤلمني في الصباح. اما اذا نمت ساعة او ساعتين، فسأشعر بتحسن... قبل حلول المساء.

نهضت فأوصلها ترانت الى المنزل. وهناك برزت امامها فرصة نادرة.

كان رئيس العمال الزراعيين التابعين للفيلا ينتظر ترانت بفارغ الصبر فهو يأتي مرة في الاسبوع الى الفيلا ليقدم تفصيلاً عن الأعمال لرب المنزل. والآن سيقضيان معاً فترة طويلة داخل غرفة المكتبة وسيكون بامكانها ان تبحث عن مفاتيح الخزنة بهدوء.

احتلها الخوف وهي تجتاز البهو وتصعد السلالم الى غرفتها. لم تبق

فيها الا دقائق معدودة. ثم خرجت واجتازت الممر متوجهة الى الجناح الشمالي. وما ان لمحت باب شقة ترانت المواجهة للسلالم حتى فتحتها بسرعة ودخلت. ربما تكون مفاتيح الخزنة معه؟ لا شك ان لديه مفاتيح اخرى. . . كيف البحث عليها؟ بدأت تبحث بيد حارة في جيوب بزاته المعلقة في الخزانة، وداخل ادراج الطاولة والمنضدة. فجأة فكرت في البحث داخل مكتبه الواقع في الغرفة المجاورة. فتوجهت اليها مسرعة وبحثت في الدرج، دون جدوى. لكن في الخزانة اليسارية اكتشفت بين قاموس عربي صغير ومفكرة جلدية، سلسلة علقت فيها اربعة مفاتيح.

وبالرغم من حرارة الطقس، اصيبت الفتاة بقشعريرة باردة. حملت المفاتيح وعادت الى الباب بعدما القت نظرة اخيرة على الغرفة للتأكد من ان كل شيء في مكانه.

وما ان اغلقت الباب خلفها حتى كاد ان يغمى عليها. كان ترانت يتسلق السلالم. هل رآها وهي تخرج من غرفته؟ تهيأ لها انه يحدق بها بنظرات قاسية، لذلك اسرعت في القول:

ـ صعدت الى غرفة روبرت لأبحث عن كتاب معين، اذ رأيت على الشرفة عصفوراً اخضر وازرق واردت ان اعرف اسمه.

ـ لا شك انه وروار. تصورت انك تنامين وقت القيلولة!

تلعثمت وقالت:

ـ نعم. . . لكن هذا العصفور. . .

ـ لكنني نصحتك ان تغلقي الستائر، كي تهدأ اعصابك من الاضطراب.

كانت ترتجف مثل ورق الشجر. وقالت:

ـ نعم.

ادارت ظهرها وتوجهت الى غرفتها. وما ان وصلتها حتى ارتمت على السرير. لقد ضغطت على المفاتيح بشدة في يدها الى درجة ان كفها بدأ يؤلمها. ابداً، ابداً، لا تريد ان تعيش مرة ثانية مثل هذه التجربة.

اضطرت للبقاء بقية النهار ممددة لأن قدميها لم تعودا تحملانها. ولم تغادر غرفتها الا وقت العشاء. هل سيلاحظ رب المنزل شحوب وجهها؟ راحت تأكل من دون قابلية. وفي نهاية العشاء قالت:

ـ سأذهب الى الكازينو في المساء. اريد ان اغير الجو.

ـ لا هذا امر غير وارد. لن تكوني قادرة ان تخطي خطوة واحدة خارج الفيللا.

اجابت بصوت متوسل، محاولة كبت دموعها.

ـ بلى. انا قادرة على ذلك!

سمعته يتنهد ثم يقول:

ـ ما دمت تصرين على المجيء، فليكن. سيأخذك عبدول متى تريدين.

وما ان انتهيا من العشاء حتى اعتذرت فيفيان وتوجهت الى غرفتها. وخلال وقت بدا لها طويلاً، سمعت اخيراً صوت محرك السيارة فراحت تذرع ارض الغرفة بخطى سريعة وهي تعد الدقائق والثواني حتى اصبحت الساعة الحادية عشرة. ثم نزلت الى البهو وتوجهت نحو سيارة الليموزين ويداها ترتجفان.

وبالرغم من دفء الطقس كانت الفتاة ترتعش برداً خلال الطريق لشدة ما كانت خائفة. وكادت ان تطلب من السائق ان يعيدها الى المنزل. غير انها كانت تعرف ان لا شيء يوقف غاري عند حده، اذ سبق ودخل حديقة كوديا وصولاً الى غرفتها، ولن يجد صعوبة في

إيجاد شقة روبرت والبوح له عن سرها. استسلمت فيفيان للأمر واكملت طريقها الى الكازينو.

رافقها الخادم الى الداخل حيث ازدحم الجمع الغفير. ثم حياها قبل ان يبتعد. راحت تتجول بين الطاولات من دون ان تعي الضجة القوية التي تعم المكان.

فجأة امسكت يد غاري بمعصمها وقال:

ـ مساء الخير، ما رأيك ان تجد مكاناً هادئاً لنتكلم على حدة؟

تبعته الفتاة رغماً عنها. اختارا مكاناً منزوياً في المقهى. وطلب رفيقها من الخادم بعض الشراب ثم قال لها:

ـ اهنئك لتعقلك... انا سعيد جداً لمجيئك، جلبت المفاتيح، اليس كذلك؟

تناولت حقيبة يدها، وفتحتها ثم اغلقتها في الحال وقالت:

ـ غاري! قل لي ان ما قلته لي ليس سوى مزاح وحسب! فلن الومك! لكن طمئني انك كنت تنوي المزاح فقط لا غير!

ـ طبعاً ان ذلك مزاح، يا حبيبتي! لكن على حساب آل كولبي! سترين كم سنضحك عندما نفرغ خزانته! والآن، اعطني المفاتيح واطيعي اوامري! بعد دقائق قليلة ستتجول في صالة اللعب. يجب ان يعرف الجميع اننا صديقان وبالتالي نكون صديقين لترانت كولبي. لذلك علينا ان نجتاز البهو معاً عدة مرات، حيث يتجول الموظفون والمراقبون. وعندما يغادر ترانت مكتبه في منتصف الليل، نتوجه نحن نحو مكتبه كأننا في نية ان نلقاه ونأخذ معه الكأس الاخيرة.

وكانت النصف الساعة التالية بالنسبة الى فيفيان عذاباً كبيراً. الضحك والثرثرة والضجة تصفع رأسها الذي كاد ان ينفجر.

وبعد منتصف الليل شاهدت ترانت كولبي يتحدث مع اصدقاء له في صالة اللعب. كان محاطاً بنساء رائعات، في ثياب فاخرة... في الماضي كانت تريد ان تنتقد طريقة حياته... ربما لأنها، في لاوعيها، كانت تحاول مقاومة سحره.

حان الوقت. فضغط غاري على معصمها وهمس بأذنها:

ـ الآن! الآن! المدير برفقة جيدة وعملنا سيكون سهلاً...

عليهما ان يدخلا المكتب... اليس غاري شديد التفاؤل؟

اجتازا البهو من دون صعوبة. حاول غاري المفتاح الأول، ثم الثاني. كادت فيفيان ان تقع ارضاً لأنها متأكدة من ان احداً يراقبها.

اخيراً انفتح الباب ودفع غاري الفتاة بسرعة الى الداخل واغلق الباب وراءه:

قال في ضحكة مخنوقة:

ـ ما كان يجب عليك ان تتشائمي كثيراً! لقد قلت لك ان الأمر شديد السهولة!

وبرعب كانت فيفيان تنظر اليه وهو يذهب تواً الى الخزنة ويفتحها. كانت مليئة بالأوراق النقدية. اخرج غاري كيساً من جيبه وفتحه وبدأ يضع في داخله المال. لم تعد الفتاة قادرة على الكلام او الصياح لأنها فقدت صوتها. فجأة ارتجف جسمها كله. اذ سمعت مفتاحاً يصر في الباب. تمسكت بالطاولة كي لا تقع. ظهر ترانت وقال من دون اندهاش:

ـ مساء الخير، يا فيفيان. قدمي لي صديقك، من فضلك! انه الشخص نفسه الذي تعرفت اليه منذ اربع سنوات، في طنجة، اليس كذلك؟

اقفل الباب بالمفتاح وتمنت فيفيان ان تموت في هذه اللحظة

بالذات، اما غاري، فلم يضطرب ابداً. اذ اجاب بلهجة هادئة:

ـ ما تقوله صحيح. ففيفيان وانا صديقان حميمان. للأسف انها لم تعلمك بالأمر!

ـ هذا مؤسف حقاً، لكنني لست مندهشاً. ومهما يكن، لندع هذا الموضوع جانباً. سأستعيد مفاتيحي، اذا لا مانع لديك.

رمى غاري المفاتيح على الطاولة. فتناولها كولبي واخذ بعض الأوراق النقدية ووضع على المكتب المبلغ الكافي ثمناً لبطاقة السفر. وقال:

ـ امامك ساعة كي تغادر البلاد. هناك طائرة ستقلع في الواحدة بعد منتصف الليل. ولا تحاول ان تعود الى المغرب، لان البوليس سيبحث عنك.

حاول غاري ان يتفوه بشيء لكنه غير رأيه واخذ المال. وبهدوء سبقه ترانت ليفتح له الباب. وبعد ان خرج غاري، ران صمت ثقيل داخل المكتب وفيفيان ما تزال متمسكة بالطاولة. وترانت كان شاحب اللون. اقترب من الفتاة رمقها بنظرة مليئة بالاحتقار ثم قال:

ـ روبرت يثق بك، وهذا المهم. لقد قلت لك يوم وصولك وسأردد اليوم: ليس من مصلحتك الهرب.

اخذ سماعة الهاتف وقال بضعة كلمات مقتضبة، فجاء عبدول في الحال وقال لها بصوت بارد:

ـ سيأخذك الى المنزل.

توجهت فيفيان الى الخارج بخطوات مترنحة. لا شك ان احداً رآها تنشل المفاتيح. ومنذ وصولها الى الكازينو لم يتوقف ترانت عن مراقبتها عن كثب. ولما رآهما يدخلان الى مكتبه انتظر قليلاً ودخل في

الوقت المناسب ليفاجىء غاري والمال بيده. تبعت عبدول واجتازت المقهى ثم صعدت الى السيارة.

ولدى وصولها الى كوديا، دخلت غرفتها وارتمت في سريرها، مرهقة. لكنها لم تتمكن من ايجاد السلام في نومها. فلم تكف عن تذكر تعبير وجه ترانت المليء بالاحتقار وصوته الغاضب.

٩- صدمة الفرح

الآن يقضي روبرت نهاراته كلها في السرير وفيفيان تجلس قربه في فترات بعد الظهر وتبذل جهداً كبيراً لتخفي ملامح القلق عن وجهها، بسبب تدهور صحة روبرت وتحول جسمه. مهما ضحك ومزح ولعب الورق ونام يظلّ التعب ظاهراً عليه. وكلما غطّ في نومه، كانت الفتاة الانكليزية تمسك يده وتتأمل وجهه الجميل المهدد بالمرض والموت.

ومنذ تلك الليلة الحاسمة عندما فاجأهما ترانت في مكتبه برفقة غاري، لم تعد فيفيان تتبادل الحديث مع صاحب المكان. امام المريض كان ترانت يبدو لطيفاً معها. وفي المساء، لم يغيرا عادتهما، ظلا يتناولان العشاء معاً في الغرفة التي تطل على الكاسبا. ومن نظرته

اليها عرفت الفتاة انه يكرهها كثيراً. لم يعد يذهب الى الكازينو. ومنذ ان تدهورت صحة اخيه، اوكل عبدول واندريه بادارة الكازينو. وفي الليل كان يذرع أرض المنزل بخطواته الثقيلة أو يخرج وحده للتنزه في الحديقة. وكذلك فيفيان، كانت تمضي ساعات طويلة تذرع أرض غرفتها ذهاباً وإياباً. . . لا تعرف اي مصير ينتظرها.

وهذه الكراهية من قبل صاحب المكان، كانت تعذبها وتجرح شعورها بشكل عميق. لا شك انه اعتقد انها تحب غاري وانها كانت تنوي الهرب معه بعد سرقة الخزنة. لذلك كانت تبكي باستمرار ولا يغمض لها جفن طوال الليل. وجاء الوقت الذي لم تعد فيه قادرة على تحمّل المزيد. انها انسانة من لحم ودم وليست بطلة قصة تلعب دورها حتى النهاية. فلم تعد تتحمل الكره الذي يصدر عن ترانت. انها فيفيان بليث وتريد ان تفكر وتشعر وتحب مثل فيفيان بليث، بالرغم من صداقتها الكبيرة تجاه لوسي.

وذات مساء تورّمت عيناها من شدة البكاء. فخرجت الى شرفتها وهبطت السلالم الخارجية متوجهة نحو الحديقة. كانت الأرض رطبة من المطر الخفيف الذي انهمر خلال النهار. الاشجار المزهرة تعبق الجوّ باريجها العطر. والقمر يرمي نوره الفضي على البحر. فتذكرت بالم السهرات الرائعة التي قضتها في جزيرة تاغاد وراح قلبها يرتجف حين شاهدت ترانت في الممر. فاقتربت منه فقال لها:

- ما كان يجب ان تخرجي في هذا الطقس البارد.
- أنا على ما يرام.

قررت ان تتحدث اليه بصراحة فتسلحت بالشجاعة واضافت:

- اذا اكدت لك ان محبتي لروبرت توازي محبتك له هل تصدقني؟

اجابها بابتسامة ساخرة:

ـ أنا مستعد ان اصدق كل ما تقولينه!

قالت بصوت متأرجح:

ـ من الأفضل ان ابدأ من البداية. لم يسبق لك ان سمعت بفتاة تدعى لوسي مايلز أليس كذلك؟ انها هي بنفسها صاحبة الرسائل التي كانت تصل لروبرت باستمرار. ربما تسألني: لماذا؟ فلوسي فتاة طيبة وناعمة، لكنها، تجد نفسها عادية جداً لروبرت، لذلك أرسلت له صورتي بدلاً من ان ترسل له صورتها.

قطّب جبينه وهمس قائلاً:

ـ هذا أمر شديد التفاهة!

ـ انا اشاطرك الرأي. كانت تنوي ان تبوح له بكل شيء عندما تصبح علاقتهما متينة كي يتحمل روبرت الصدمة. لكنك ارسلت اليها رسالة تعلمها بصحة اخيك المتدهورة، فانهارت اعصابها.

حدق بها ترانت بعينين برّاقتين وقال بصوت فظ:

ـ كيف جرى واتيت مكانها؟

ـ هي طلبت مني ذلك بعد الحاح شديد. قالت ان روبرت سيشعر بصدمة كبيرة اذا رآها وهي ليست صاحبة الصورة التي ارسلتها له... من دون علمي...

ران صمت طويل ثم قال ترانت مندهشاً:

ـ هذا أمر غريب! امر لا يصدق!

ـ لو كنت تعرف لوسي، لما قلت هذا الكلام! كانت تفكر فقط بصالح مراسلها، لذلك اقنعتني ان احلّ مكانها لئلا يصاب بصدمة وخيبة أمل. لوسي تحب روبرت حباً كبيراً. الاشخاص المغرمون يتظاهرون احياناً بردّات فعل غريبة!

قال ساخراً:

ـ تتكلمين عن سابق خبرة!

اجابته بهدوء:

ـ لا شك انك تفكر بغاري ثورنتون. نعم تصوّرت في بادىء الامر، انني احبه وحاولت كل جهدي ان اعثر عليه، منذ وصولي الى طنجة.

ـ كنت اشعر ان امراً ما يجري من دون معرفتي، فتركت لك حرية التحرك آملا ان أراك تقعين في الفخ. لم أكن مخطئاً. اكملي.

ـ لكنني اكتشفت ان غاري يتردد على الكازينو. التقيت به هناك في أول سهرة لي. في الواقع كنت أتابع حلماً جميلاً، لكن غاري لم يكن يعني شيئاً بالنسبة اليّ... وادركت ذلك بعد لقاءاتنا العديدة. لكن قبل ذلك كنت قد بحت له بسري وبهذه الخدعة.

ـ كنت خائفة. لاحظت...

ـ نعم اعترف بذلك. اردت الرحيل في الحال وذهبنا الى جزيرة تاهاد لكن عندما عدت الى طنجة، كان غاري بانتظاري. هددني ان يبوح بالخدعة لروبرت بالذات اذا رفضت ان اعطيه مفاتيح الخزنة. فلم يكن لدي الاختيار.

ـ كان عليك ان تعلميني بالأمر!

ـ لقد فكرت بالأمر. لكن كنت أريد ان أفي بوعدي للوسي. كنت خائفة لأنني كنت مقتنعة بأن غاري سيجد طريقة لابلاغ روبرت بأمر الخدعة؟

امسكها بكتفيها وقال:

ـ يا ايتها الحمقاء الصغيرة. كان بامكان هذا الوقح ... ان يؤذيك!

شعرت باصابع ترانت تداعب ذراعيها. انسحرت بنظرته واقتربت منه. فعانقها واحتلها اضطراب علب. لكنه بعد قليل دفعها عنه بحدة وقال بصوت فظ:

- اذهبي من هنا!

ركضت نحو المنزل وهي تنهمر في البكاء. انها بنظر ترانت ما تزال ملكاً لروبرت. ولا أحد يمكنه ان يغيّر هذا الوضع...

تساقط المطر في اليوم التالي من جديد ثم عادت الشمس الى الظهور واستعاد البحر زرقته والزهر الوانه الزهية الطبيعة كلّها كانت برّاقة.

ورغم سوء حالته، كان روبرت في مزاج رائع. وذات مساء قرر ان يتناول العشاء في غرفة الطعام. ولهذه المناسبة، اعدت فيفيان الطاولة بمساعدة الخدم ووضعت الكريستال والفضية على الشرشف المطرّز. لكن لا أحد اراد الاعتراف بان مزاجه المتألق فرحاً كان اصطناعياً.

وفي الأمسيات العادية كان ترانت يتناول العشاء مع ضيفته في غرفة الطعام، كالعادة. ثم يخرجان الى الشرفة الصغيرة في الليل المعطّر برائحة الزهر والياسمين. يتناول ترانت علبة السكائر من جيبه، يقدم سيكارة الى فيفيان، ثم يشعل لها بقداحته. كادت فيفيان ان تجنّ. انها تحبه، وهو يحبها ولا يوجد أي اتصال بينهما... حتى اللمس أصبح امراً مستحيلا.

وذات مساء لم تعد فيفيان تتحمل هذا الضغط القوي. فجأة سمعت ضجة في الداخل. كان هارون واقفاً على عتبة الباب ومعين يوضب الطاولة. تلعثم الخادم وقال:

- انه سيدي الصغير! يطلب حلوى الميرينغ من السيد موريس.

كاد ان يغمى على فيفيان. هل هذا طلبه الأخير؟

فسأل ترانت:

- هل بقي منها شيئاً؟

ألقى معين نظرة الى الصحن وهزّ رأسه ايجاباً فقال ترانت:

- اذن خذ له بعضاً منها.

اسرعت فيفيان الى غرفتها وحنجرتها تكاد تختنق:

وبعد ظهر الغد وصل طبيب مغربي برفقة ثلاثة ممرضين لأخذ صور على الاشعة لمعصم روبرت. وفي تلك الاثناء كانت فيفيان توضب الزهور في احدى قاعات الطابق الاسفل. بعد قليل نزل الطبيب السلالم مسرعاً وتوجه الى الهاتف. كان يتكلم بسرعة ولم تتمكن الفتاة ان تفهم ما يقوله. في الوقت نفسه جاء ترانت وتوجه نحو الطبيب. تبادلا الكلام ودخلا معاً الى المكتبة واغلقا الباب. اكملت فيفيان عملها ويداها ترتجفان. ماذا يجري؟ ماذا يحصل للمعاق؟ بعد قليل خرج الرجلان وتسلقا السلالم بسرعة. راحت الفتاة تذرع الارض ذهاباً واياباً، بعصبية وهي تتخيّل الحوادث التي تدور في الطابق الاعلى للفيللا.

فجأة رأت سيارة سوداء تدخل الباب الحديدي. ونزل منها رجل شاب هو احد الاطباء الاخصائيين الذين يعالجون روبرت. تقدم عبدول منه ورافقه الى جناح روبرت. فوجدت فيفيان نفسها وحيدة من جديد في هذا الصمت الثقيل. لم تعد قادرة ان تبقى مدة أطول في الداخل، خرجت الى الحديقة وراحت تقطف الازهار الجديدة كي تمنع نفسها من اظهار انفعالها ورغبتها في الالتحاق بالآخرين.

بعد قليل سمعت اصواتاً. ثم اقلعت سيارة الطبيب الاخصائي. وبهدوء متصنع عادت بخطى بطيئة الى الفيللا. كان الممرضون

يخرجون في هذه اللحظة وترانت يرافقهم حتى الباب. ولما رأى الفتاة اقترب منها وابتسامة على شفتيه. فلاحظت للحال ان ذراعيها كانتا ممتلئتين زهوراً. فقال لها:

- ينقصك قبعة واسعة من قش لتشبهي النساء الفلاّحات. لكن بشرتك فاتحة وانفك المستقيم لا يشبه أنوف البربر!

- ماذا يجري؟ كنت قلقة جداً!

لم يرد عليها في الحال وحاولت ان تلمح اشارة ما في وجهه المتعب. اخيراً قال وهو يحيط كتفيها بذراعه:

- لنجلس قليلا وحافظي على الباقة بين يديك. هكذا تكونين صورة مريحة وجميلة لرجل عاش اوقاتاً صعبة في الأيام الأخيرة.

قادها الى الحديقة الصغيرة المحاطة باشجار الليمون الحامض وقال لها:

- صورة الأشعة اظهرت شيئاً

- ماذا اذن؟

- معصم روبرت في شفاء سريع.

- الم تكن تتوقع ذلك؟

- انه يعاني من اصابة عضلية، لكن. . .

- لكن ماذا؟

- بالنسبة الى الاطباء، هذا عنصر ذو دليل ومعنى واضح. طلب الاخصائي ان يذهب روبرت غداً الى المستشفى لاجراء بعض الفحوصات.

كان قلب فيفيان ينبض بسرعة جنونية ولمدة فترة طويلة لم ينطقا بكلمة واحدة. ثم ساعد ترانت الفتاة لتقطف الأزهار الى ان حان وقت العشاء.

وفي صباح اليوم التالي، نهضت فيفيان باكراً وتوجهت صوب المروج. كانت الاشجار مليئة بالثمار. لاحظت من بعيد سيارة ليموزين تتجه نحو المدينة.

لا شك ان عبدول يقودها، وترانت وروبرت يجلسان في المقعد الخلفي. هل سيشفى الشاب المريض؟ لا، لا يجب ان تتأمل كثيراً!

وفي المرج النساء البربر يرتدين الفساتين الواسعة المعرّقة. راحت فيفيان تتأملهن وهنّ يقطفن الثمار بمساعدة الاولاد. أحضرن معهن جبن الماعز والخبز الاسمر والبلح واقترحن على الغريبة ان تتقاسم معهن الطعام. جلست فيفيان برفقتهن تحت ظلّ جوزة قديمة، محاولة الاّ تنظر باتجاه الطريق.

كانت الشمس تستعد للمغيب وراء الخليج والعمال يسقون الاشجار المثمرة، عندما رأت فيفيان فجأة سيارة الليموزين في المدخل. كانت النساء والاولاد يستعدون للذهاب. فحيّوا الفتاة الانكليزية بلغتهم فردت عليهم بابتسامة قبل ان تتوجه الى المنزل. بالكاد كانت قادرة ان تقف على قدميها.

سمعت فيفيان اصواتاً آتية من الطابق السفلي. فاجتازت القناطر باضطراب. ترانت متكىء على المدفأة وروبرت جالس على الكرسيّ النقال قرب الصوفا. وما ان نظرت الى المريض حتى فهمت كل شيء. بشعره الاشقر القمحي وعينيه الزرقاوين، كان شديد الجاذبية. ولما لمحها القى نظرة الى ترانت وقال:

- قل لها، يا ترانت.

نهض ترانت وقال بصوت لا مبالٍ ليخفي انفعاله:

- روبرت سيشفى. . . حسب الاطباء، بعد بضعة أسابيع سيصبح قوياً وقادراً ان يتخلى عن الكرسي النقّال، وبعد ستة

اسابيع، سيشفى كلياً.

امتلأ قلب الفتاة بهجة لدى سماعها هذه الكلمات واجتازت الغرفة راكضة وقالت:

ـ آه، روبرت! انا مسرورة جداً لك!

ضمته بين ذراعيها لتخفي دموع الفرح المتلألئة في عينيها. فسألها المريض:

ـ هل تعرفين ماذا يعني ذلك، يا فيفيان؟ هذا يعني انه سيصبح بامكاننا ان نتزوج!

كادت ان تقع ارضاً . . . في هوّة سوداء. وبدأت الغرفة تدور بها. ادارت وجهها نحو ترانت وقرأت في وجهه وفي عينيه الهزة التي احدثتها هذه الكلمات الأخيرة.

ثم سمعت حالها تقول بضحكة متقطعة:

ـ نعم، بامكاننا ان نتزوج!

١٠- عودة الابنة الضالة

الاشجار تلمع تحت أشعة الشمس. والحديقة الصغيرة، التي كانت منذ أربع وعشرين ساعة مضت تنبض حياة وأملا. هي الآن حزينة ومتأسفة.

ذهب روبرت الى غرفته بمساعدة هارون وجلس ترانت على مقعد قرب الفتاة. أعلنت فيفيان:

ـ انها اعجوبة حقيقية! كان روبرت يبدو شديد المرض وكنا نتوقع أسوأ الأمور!

هز ترانت رأسه وقال:

ـ كنت على علم بالأمر. منذ بضعة أسابيع، طلب مني الأطباء السماح لهم باجراء تجربة على علاج جديد. لكن الخطر من هذا

العلاج كان صعوبة تحمله، اضافة الى امكانية فشله.

- عرفت ذلك في اليوم الذي ذهبنا فيه الى تطوان. أتذكر... بقيت في المستشفى مدة طويلة.

- صحيح. لكنني لم أقل لأحد عن هذا العلاج خوفاً من تشجيع آمال مخطئة. سأكون متشكراً للطبيبين بول لازار وجورج مارن طيلة حياتي. أخذت روبرت الى العيادات الكبرى، لكنني وجدت أخيراً طبيبين مجهولين يعملان في مستشفى صغير، توصلا بعد عمل متواصل الى ايجاد علاج لمرضه. لا يمكن أبداً ان أكافئهما كما يجب...

نهض وأخذ ذراع فيفيان وتوجها معاً الى المنزل. وتساءلت فيفيان وحنجرتها تكاد تختنق، هل بامكان المرء ان يكون سعيداً وتعيساً في آن واحد؟

نصح الأطباء المريض ان يرتاح كثيراً اذا أراد ان يشفى بسرعة. وبدلاً من أن يلعب روبرت في حوض السباحة او في الكروكيه كان يجلس مع فيفيان وترانت تحت قنطرة قريبة من المنزل.

استمرت الفتاة بالابتسام والثرثرة، لكن عقلها كان بعيداً. أحياناً كانت تشاهد ترانت ممدداً قربها على الكرسي الطويل. بامكانه ان يلمسها لدنوها منه لكن ذلك أصبح مستحيلا الآن. لذلك كانت تشعر بألم قوي لم تعد قادرة على تحمله.

وذات يوم، وفي فترة بعد الظهر، كانت تقرأ قصيدة بصوت مرتفع وتحاول ان تجد الايقاع المطلوب مع كل بيت حين هز روبرت رأسه وقال:

- ابداً لن تتوصلي الى ايجاد الايقاع اللازم. اسمعيني جيداً: احبك بايمان طفولتي... والآن دورك أنت.

بدأت بلهجة متأرجحة:

- أحبك...

فجأة، وراءهما اكمل صوت يقول:

- أحبك مع النسيم، مع الابتسامة، مع دموع كياني كله. واذا شاء الله سأحبك اكثر حتى بعد موتي.

ران الصمت. كانت الكلمات صادقة الى درجة ان الجميع تأثروا بها. التفتت فيفيان ببطء ثم انتفضت في مقعدها وقالت باستغراب:

- لوسي.

- صباح الخير يا فيفيان، سمعت صوتك. جئت الى هنا في عطلة قصيرة وأردت ان أسأل عنك. لا مانع لديك، على ما أظن؟

كانت فيفيان مندهشة كلياً. لوسي في طنجة! كان شعر صديقتها الأشقر ينسدل على كتفيها بتجعيد بسيط وكانت ترتدي فستاناً جميلا ووجهها يتألق فرحاً. فهمت فيفيان ان الرسالة الأخيرة التي كتبتها للوسي هي أحد أسباب مجيئها الى طنجة. كانت لوسي متألقة سعادة الى درجة انها كانت تبدو جميلة.

قال المريض الذي بدا عليه الانجذاب بالفتاة الجديدة:

- ماذا تنتظرين يا فيفيان لتقدمي كرسياً الى ضيفتنا الرائعة؟

لم تجرؤ فيفيان ان تنظر الى ترانت فقالت:

- أقدم لكما لوسي مايلز، صديقتي من انكلترا. لوسي، اقدم لك روبرت وترانت.

نهض هذا الأخير وقدم لها كرسياً وقال:

- أنا سعيد للتعرف اليك، يا لوسي.

وما ان جلست لوسي في الكرسي حتى أسرع المريض يقول:

ـ أين تعلمت القاء الشعر هكذا؟ لا شك انك قرأت هذه الأبيات مئات المرة لتلقيها من دون أي خطأ!

أجابت بابتسامة قبل ان تخرج من حقيبة يدها كتاباً صغيراً مغلفاً بالجلد:

ـ آه، ليس الأمرُ صعباً! معي هنا كل قصائد براونينغ وعندما أشعر برغبة في القراءة أخرجها من حقيبة يدي.

تناول الكتاب من يديها وقال:

ـ يا الهي! انه رائع! كنت أجهل وجود مثل هذه الجوهرة.

ثم أشار الى كتبه السميكة الموضوعة على الطاولة قربه:

ـ هذه كتبي!

ـ بامكان أي انسان ان يشتريها من السوق. اذا أعجبك كتابي، أقدمه لك.

ـ آه، يا الهي، لا! لا أجرؤ أبداً!

ثم فكّر ملياً وقال:

ـ توصلت الى نتيجة تعجبك. بامكاننا ان نتبادل الكتب. لدي كتاب قديم لبراونينغ مع امضائه على الصفحة الأولى.

ـ آه أود ان أراه.

ـ سأريك اياه. لم نقدم المشروبات المنعشة لضيفتنا؟ هل تشربين الشاي؟

توجهت فيفيان الى المنزل. وفي المطبخ أخرجت الصينية والصحون والفناجين ووضعت الحلوى في صحن عميق. ولما بدأ الماء يغلي، سكبته في ابريق الشاي الفضي وحملت كل شيء الى

الخارج.

ولما وصلت الى القنطرة كان لوسي وروبرت منغمسين في مناقشة حاسمة.

ـ أبداً! اليزابيت كانت أول امرأة يكون لها اسم بارز في الأدب الانكليزي. قصائد زوجها الأولى كانت منقولة ولا أحد كان معجباً بشعره.

ـ عظيم، لكن ذلك كان قبل زواجها. اليزابيت باريت تكبر براونينغ بست سنوات، لا تنسي ذلك!

ـ صحيح، لكن خلال الخمسة عشرة سنة التي قضتها اليزابيت مع زوجها في ايطاليا انتجت فيها دواوين كثيرة.

تقدم ترانت من فيفيان وأخذ عنها الصينية. وراحت هي تقدم الشاي والحلوى. فأكل الجميع بشهية. وفي نهاية الحديث توصل روبرت ولوسي الى القول بأن اليزابيت باريت براونينغ لم تعد تعتبر شاعرة من الدرجة الأولى. وبينما كانت فيفيان تضع الفناجين الفارغة على الصينية، نهضت لوسي متوردة الخدين وقالت:

ـ من الأفضل ان أذهب الآن. وصلت صباح اليوم ولم أفرغ حقيبتي بعد.

قال روبرت متلألىء الوجه:

ـ وماذا عن الكتب؟ سأجلبها لك يوماً، من دون ان استعمل الكرسي الهزاز. من حسن الحظ ان استعمالها ليس الا مؤقتاً. بعد بضعة أسابيع لن أعود بحاجة اليها.

تدخلت فيفيان في الحديث وقالت:

ـ أعرف أين هي الكتب. ربما تحب لوسي ان تصعد الى غرفتي لتغتسل قليلا قبل رحيلها.

وافق المريض قائلا:

- انها لفكرة جيدة!

ولما دخلت الفتاتان الى غرفة فيفيان، ارتمتا في ذراعي بعضهما:

- لوسي!

- فيفيان! انت رائعة. لقد نحلت قليلا وتخليت عن نظرتك القاسية.

- اما أنا، فلم أعد أعرف صديقتي العزيزة، لوسي مايلز!

- والدي يقبض الآن مساعدات من الحكومة لتمويل المزرعة. فهو الآن مرتاح مادياً. وصلتني رسالتك قبل امس واشتريت بطاقة السفر في الحال.

- لم تكن مهمتي سهلة، يا لوسي.

- ليس روبرت على علم بالأمر، أليس كذلك؟

- كلا.

- المهم ان يشفى.

صرخ روبرت من تحت النافذة:

- هيه، هوه! ماذا تفعلان معاً؟

ابتسمت الفتاتان ودخلت لوسي الى الحمام لتغسل وجهها ويديها بينما صعدت فيفيان للبحث عن الكتب، ثم نزلتا معاً وخرجتا الى الشرفة. كان المريض برفقة ترانت وهارون.

أعلنت لوسي للمريض:

- انه كتاب رائع! أعدك بأن أعتني به جيداً.

ثم استدارت نحو فيفيان وقالت:

- هل تتفضلين وتطلبين لي سيارة تاكسي؟

صرخ المريض باستغراب:

- سيارة تاكسي! لن ندعها تعود الى الفندق بسيارة التاكسي، أليس كذلك يا ترانت؟

أجاب ترانت قائلا:

- عبدول يغسل سيارة الليموزين. سأطلب منه ان يعجل.

بعد قليل تقدمت سيارة الليموزين أمام الباب. نزل منها السائق وفتح الباب الخلفي. صعدت لوسي وقال المريض لفيفيان:

- قولي لصديقتك ان تأتي الى كوديا متى شعرت برغبة بذلك. أليس كذلك يا ترانت؟

أجاب ترانت بابتسامة:

- أصدقاء فيفيان أهلا وسهلا بهم الى كوديا.

التفت روبرت الى لوسي وقال:

- اذا لم تكن لديك مشاريع أخرى... طبعاً...

أجابت لوسي بخجل:

- جئت الى هنا لأقضي عطلة اسبوعين ولم أخطط لشيء حتى الآن.

اقلعت السيارة وابتعدت في الجادة. وفي طريق العودة الى الفيلا، همس المريض بلهجة حالمة:

- لقد ألفت هذه الأبيات كأنها وضعت خصيصاً لها.

عادت لوسي الى الفيلا في اليوم التالي بعد الغداء. وارتدى روبرت ثياباً جميلة ليكون لائقاً لاستقبالها. وفي قميصه البيضاء وسرواله الأزرق القصير كان يبدو رائعاً. أراد ان يري الحديقة للضيفة الجديدة.

فاقترح عليها قائلا:

- سآخذك لزيارة شجر الأرز.

نهضت فيفيان واستعدت لجرّ كرسي روبرت عندما سألتها لوسي بصوت متردد:

- هل بإمكاني ان أدفعها بنفسي؟

- طبعاً!

ثم أضافت فيفيان بعد تفكير سريع:

- في كل حال، لدي أعمال كثيرة داخل غرفتي. ما دمت هنا، يا لوسي سأفيد لأنهيها قبل ان تتراكم عليّ.

ابتعدت عنهما ودخلت الى المنزل. وفي غرفتها بدأت في العمل. وفي الأيام التالية راحت فيفيان تنهمك في تنظيف غرفتها وغسل ملابسها وتلميع الزجاج والأثاث. في هذا الوقت، يثرثر روبرت مع لوسي قرب حوض السباحة او يجلسان تحت شجر الأرز القديمة او يتنزهان قرب سبيل الماء ويراقبان البحر واليخوت وقوارب الصيد البعيدة.

ومضت الأيام. وعشية سفر لوسي. كان روبرت وترانت وفيفيان جالسين في قاعة الاستقبال المطلة على الشرفة. كان المريض في كرسيه وفيفيان تطرز منديلا وترانت يقرأ الصحف.

بدا على روبرت الاضطراب وهو يصغي الى الخارج لعله يسمع خطوات في الممر. ثم أعلن قائلا:

- فيفيان... أريد ان أتحدث معك في موضوع طالما رغبت في البدء به منذ مدة وجيزة. هل تتذكرين اليوم الذي وعدتك فيه بأشياء معينة... لدى عودتي من المستشفى. لكن في الواقع كنت في حالة غبطة لامتناهية. ليس حسناً ان يستعجل المرء الأمور... هل تفهمين ما أريد قوله؟ لا يجوز استعجال الزواج و...

قاطعته قائلة:

- أفهمك. امور كثيرة حصلت منذ ذلك الوقت. وصول لوسي، مثلا...

تدخل ترانت في الحديث وقال:

- انه فرح كبير ان نتعرف اليها ونستقبلها في منزلنا. انا آسف انها راحلة في الغد!

احمرّ وجه المريض وقال بصوت مرتاح:

- ربما تبقى مدة أطول. اذا سمح لها والدها بذلك! كما انها دعتني للذهاب الى انكلترا وزيارتها في المزرعة التي تعيش فيها!

قال ترانت ضاحكاً:

- كم العالم صغير!

- ها هي!

تقدم قليل، دوت الأصوات المرحة والضحك العالي في انحاء الحديقة كلها. ثم اختفت بعد ابتعاد روبرت ولوسي.

وفي غرفة الاستقبال كان الصمت ثقيلا. فيفيان تطرز وترانت يراقبها. رفعت نظرها اليه فاشتبكت بنظراته لكن لم ينطقا بكلمة واحدة مدة طويلة. اخيراً قال ترانت:

- تعالي.

وضعت نولها جانباً ونهضت. وبعد لحظات أصبحت بين ذراعي ترانت الذي راح يعانقها. انه عناقهما الأول منذ أسابيع.

أخيراً قال لها:

- لنجلس الآن.

توجها معاً الى الكنبة فقال:

- ما رأيك ان تعيشي في هذا المنزل الجميل؟

- المنزل رائع لكنه ضخم جداً بأثاثه القديم.
وافق معها وقال:
- اشتريته من دبلوماسي فرنسي. أضفت اليه بعض المنتجات المغربية، لكن حسب رأيي ينقص الديكور لمسة أنثوية.
- بامكاننا البدء بالاستغناء عن بعض الأثاث.
- واقامة الحفلات. أريد ان يتعرف جميع أصدقائي في طنجة الى زوجتي.
- يجب اعلام روبرت بالأمر.
- لا أعتقد ان هذا الخبر سيدهشه. فهو انسان حذر ومتيقظ.
- لكنه لا يعلم بالخدعة!
- سيعلم بها يوماً ما. هذا لا أهمية له ما دام يحب لوسي.
- أحبها دائماً وكان شعوراً متبادلاً، هل ما زلت مستعداً للتأكد ان الحب في المراسلة لا يدوم؟
- عندما أضمك بين ذراعي، اعترف بكل شيء.
- هل تعترف بأنك كنت تضايقني من دون شفقة فيما يتعلق بموضوع الكازينو؟
أجاب ضاحكاً:
- كنت أنتقم! لو تعرفين العذاب الذي عانيته وأنا أراك مع أخي في حوض السباحة! لقد عشت جحيماً. حاولت ان أبعدك عن أفكاري، من دون جدوى. لكنك كنت هنا، قربي... ولم أكن أتحمل ذلك!
- وأنا، في ذلك الوقت، كنت أعتقد اني واقعة في حب غاري. في كل حال كنت أجدك انساناً عاتياً، مستبداً.

- في تلك الليلة، في مكتبي، أنت وغاري كنت أعتقد ان حباً كبيراً يربطكما! كنت على وشك ان أقتله! اخبريني عنه.
- ليس هناك ما يستحق القول. كنت أعتقد اني واقعة في حبه. انا سعيدة لأني رأيته من جديد لأنني الآن مرتاحة لابعاده عن مخيلتي.
- وأنا مسرور من أجلك.
- بامكاننا ان ننظم عرساً مزدوجاً...
- لا. على أخي ان ينتظر بضعة أسابيع قبل ان يشفى تماماً. لكن بامكانهما ان يكونا ضيوف الشرف في العرس. ما رأيك؟
- رائع جداً!
- ما رأيك برحلة شهر العسل نقضيها في جزيرة تاهاد؟
- وحدنا؟ لا أعرف فن الطبخ مثل موريس!
- هذا أمر ثانوي. لديك مواهب أخرى تعوّض عن ذلك!
- ترانت كولبي، الا تخجل؟
أخذها بين ذراعيه وقهقه ضاحكاً فقالت:
- وما سيحلّ بالكازينو؟
- سأبيعه وأجد لنفسي عملاً آخر. لكن دعينا من هذا الموضوع الآن.
راح يداعب فم الفتاة فقالت بحزم:
- أنت بحاجة للعمل لتعرف طاقتك.
- لا أريد ان أصرف طاقتي كلها!
- حان الوقت لنذهب في نزهة!
تأبط ذراعها وراحا يمشيان بخطى بطيئة في أرجاء الحديقة حتى جاء الغسق ولف المدينة بنوره الوردي الخافت. ومن أعالي المنارات

بدأ المؤذن يدعو المؤمنين الى الصلاة. وتهيأ للفتاة ان العالم كله يذيع حبها. حب ترانت وفيفيان.